الدكتور
أبو الحسن عبد الله الخطيب
كلية الآداب بسوهاج

أبو حاتم السجستاني

حياته وآثاره

دار الهداية

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
والصلاة والسلام على أكرم المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ

الطبعة الأولى
١٩٨٥

تمهيد

هذه شخصية فريدة ، وعلم من أعلام القراءات وأستاذ اللغة والأدب والفكر فى القرن الثالث الهجرى .

إنه العالم القارىء اللغوى الأديب ابو حاتم السِّجستانى ممن شرُف بهم هذا القرن . وترك بصماته عليه . وآثارة تشهد بعلو كعبه فى المجالات المختلفة التى أشرت اليها . وأستاذ له وزنه وقدره فى المدرسة البصرية ؛ بل أستطيع القول إنه من عُمُدِ هذه المدرسة الذين أرسوا قواعدها وحملوا التراث القديم ، وأضفوا عليه من فيوضاتِ عقلهم وواسع معرفتهمِ وصدق روايتهم الشىء الكثير . مما جعله حيًّا متَقَلِّبا فى ضمير الأمة باعثا لها ومحرِّكا لآمالها .

كان همزة الوصل ؛ لا بل كان الجسر القوى الممتد بين مدرسة الأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد وتراثهم التليد وبين مدرسة اللاحقين الذين حملوا الشعلة من بعدهم متمثلا فى ابن قتيبة والمبرد وابن دريد وغيرهم كثير يفوق العد والحصر .

هذه الشخصية المرحة الفكهة العالمة شهدت القرن الثالث بأحداثه ووقائعه . وكنت أود أن أتكلم عن هذا القرن وما فيه من صور سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ولكن وجدت أن الكثيرين قبلى تكلموا عن القرن الثالث وأفاضوا فى الحديث عنه ، كما تكلم عنه ايضا كاتب هذه السطور تكلمت فى بحث واف عن الحياة فى القرن الثالث الهجرى فى صور ها المختلفة ، وأفضت فى الحديث عن البصرة فى نشأتها وتطورها ودورها فى الحياة العامة وخاصة الجانب الثقافى . كما تكلمت كذلك عن دور مدرسة البصرة ورجالاتها والحركة العلمية فيها ودور مسجدها الجامع وشيوخه وسوق المربد وأثره فى الحركة اللغوية . كان ذلك فى كتابى عن « المبرد ودراسة كتابه الكامل » .

ورأيت أن ما أوضحته فيه الكفاية لمن يريد معرفة دور البصرة فى الحياة العامة فى هذا القرن . وحتى لا أكرر ما قلت فإنى أكتفى بما أوردت هناك .

ولكن لأرضى رغبة قارىء متلهف لمعرفة شىء عن عصر هذا الرجل أقول إنه عاش فى عصر مضطرب ، الشىء وضده يعنى نرى صلاحا يجاور طلاحا ونورا مُصَاحَباً بظلمةٍ ، قرن يجمع المتناقضات ساده العنصر التركى متحكما فى مصير الخلفاء ، فهذا مقتول ، وذاك معزول ، وآخر يُعَذَّب فى الشمس ثم يدفن حيا ، فضلا عن قلاقل وثورات طاحنة كثورة بَابك الخُرَّمِى وثورة الزنج والتى راح ضحَّيتَها العالم الأديب أبو الفضل الرياشى الَذى قتلته الزنج وهو قائم يصلى فى مسجد البصرة . وأما عن الاقتصاد فساء حاله نتيجة الإسراف والتبذير فخوت الخزانة وأضطر الخلفاء إلى اجراء المصادرة ثم التضمينات وأما عن المجتمع فكانت تركيبة السكان من عرب وفرس ويونان ورومان وهنود وزنوج ، لها أثرها على صفحة الحياة الاجتماعية ، أضف الى ذلك أننا وجدنا أناسا عاشوا حياتهم بالطول وبالعرض ، وآخرين كانوا يتضورون جوعا .

أما عن الحركة الثقافية فكانت نشطة أثراها المسجد الجامع فى البصرة بفيض من علوم الشيوخ ؛ بل إنهم يقولون إن البصرة كانت تضم بين جنباتها ثلاثة آلاف عالم . كل عالم - فى نظرى - مدينة علم متنقلة .

فإذا أضفنا إلى ذلك الحركة الثقافية المزدهرة نتيجة التقاء علماء اللغة والأدباء والشعراء بالأعراب الأقحاح الوافدين على سوق البصرة للميرة . فكان هؤلاء يهيجون بهم ليعرضوا عليهم محصولهم اللغوى وليستمعوا منهم اللغة مصفاة من كدرة العجمَة . أضف إلى ذلك التيار الشعرى الآخذ من القديم والآخر المتأسى بالحركة الفكرية المتأثرة بحركة الترجمة والنشاط العلمى فى هذا القرن .

هذه لمحة يسيرة ولكن أخشى الإطالة لأننى سبق أن قلت إننى بحثت هذا الموضوع بحثا وافيا ضافيا .

ولكن ما أريد أن أقوله هنا ، هو أننى أريد أن أقدم للمكتبة العربية هذه الدراسة عن حياة أبى حاتم السجستانى وآثاره .

هذه الشخصية المرحلة الفكهة العالمة ، ملكت على نفسى وشغلت بها سنين . وكان لقائى بها عند إعدادى لدرجة الماجستير عن المبرد ودراسة كتابه الكامل .

وظلت تراودنى إلى أن عزمت على السياحة معه طفلا وشابا ورجلا وكهلا . ثم سرت معه طالبا بين يدى الشيوخ الأجلاء ثم عالما جليلا تتحلق حوله حِلق طلاب اللغة والأدب والعلم والمعرفة أستاذ القراءات واللغة والإنسانيات فى جامعة البصرة قديما أو المسجد الجامع كما كانوا يطلقون عليه .

وكلما تعمَّقت درس سيرته ازددت به إعجابا وله حبا ولما عدت الى آثاره التى أفلتت من قبضـة الضياع ازددت له عشقـا وبعلمه وبفكره غراما ، ذلك لأننى وجدت نفسى أمام عالِم ثقة متمكن مشهود له بالصدق والتحرِّى والأمانة أضف الى ذلك علما غزيرا تحصَّله من الشيوخ .

واكتسبـه نتيجـة الإطلاع المستمر . لأنه كان من الوارَّقين الذين يتَّجرون فى الكتب فالكتـاب يتقلب بين يديه قارئا له ومُتاجرا فيه . حتى إن مكتبته قُوِّمَتْ بآلاف الدنانير فى هذا الزمن القديم .

ولذلك فإنى سأتكلم عن حياته وآثاره وخصَّصت لذلك بابين .

الباب الأول : حياته . وقسمته إلى فصول .

الفصل الأول : نسبه ـ تحقيق تاريخ ميلاده ـ مصادر ثقافته ـ شخصيته وأخلاقه ـ رحلاته ـ علاقاته برجال عصره ـ وفاته

الفصل الثانى : شيوخه .

الفصل الثالث : معاصروه .

الفصل الرابع : تلاميذه .

الباب الثانى : آثاره

الفصل الأول : دوران آثاره فى مصنفات الأقدمين .

الفصل الثانى : آثاره اللغوية

الفصل الثالث : آثاره الأدبية

خاتمة البحث

المراجع

الفهارس . .

وبالله التوفيق . .

الباب الأول

حيـاته

الفصل الأول

- نسبه مولده شخصيته وأخلاقه
- أبو حاتم والحركة العلمية فى البصرة
- انتقادات موجهة إليه
- وفاتـه

نسبه :

هو «أبو حاتم السجستانى» : سهل بن محمد الجشمي ، فقيه لغوى بصرى ، وكان جمّاعة للكتب يتجر فيها . وردت ترجمته فى كثير من المصادر ، ولكن إذا رجعنا إلى ما هو أقرب منه عهدا ، فنرى ابن النديم فى الفهرست يقول : «قال أبو سعيد اسمه سهل بن محمد وكان كثير الرواية عن أبى زيد وأبى عبيدة والأصمعى ، عالما باللغة والشعر ، قال أبو العباسى المبرد وسمعته يقول :

قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين ، وكان حسن المعرفة بالعروض كثير التأليف للكتب فى اللغة ، يقول الشعر ، صادق الرواية ، وعليه اعتمد أبو بكر بن دريد فى اللغة[1]

---

(١) جاءت أخباره فى كثير من المصادر منها :

- الفهرست لابن النديم ص ٩٢ ، ص ٩٣ ط/ التجارية/ القاهرة (بدون) .
- الأزهرى : تهذيب اللغة (تحقيق : عبد السلام هارون وآخرين جـ ١ ص ٢٢ وما بعدها ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٦٤
- الزبيدى : طبقات اللغويين والنحويين (ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم) ص ٩٤ - ٩٦ ط/ القاهرة سنة ١٩٧٣ .
- الأنبارى : نزهة الألباء (نشر على يوسف) ص ١٣١ - ط/ ١ القاهرة -
- ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٤ ص ٢٥٨ (ت/ احمد الرفاعى) ط/ ١ القاهرة ١٩٣٦ .
- ياقوت الحموى : معجم البلدان : جـ ٣ ص ١٩٢ ط/ ١ بيروت سنة ١٩٧٩ .
- الذهبى : تاريخ الإسلام (ت/ فهيم شلتوت ، محمد مصطفى ابراهيم ، ١٥١ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٧٤ .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٦٢٦ ط/ ١ بولاق ١٢٩٩ هـ .

وإذا ذهبنا إلى غاية النهاية لابن الجزرى لننظر دوران ترجمته فى طبقات القراء نراه يقول عنه :

«سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد أبو حاتم السجستانى إمام البصرة فى النحو والقراءة واللغة والعروض وكان يخرج المعمَّى ، وكان إمام جامع البصرة وله تصانيف كثيرة ، وأحسبه أول من صنف فى القراءات عرض على يعقوب الحضرمى وهو من جلة أصحابه . ويقال عرض على سلام الطويل وأيوب ابن المتوكل . وروى الحروف عن إسماعيل بن أبى أويس ، والأصمعى ومحمد بن يحيى القطعى ، وسعيد بن أوس ، وعبيد بن عقيل فيما ذكر الهذلى ولا يصح بل عن القطعى عنه ، وله اختيار فى القراءة ، رويناه عنه ، ولم يخالف مشهور السبعة إلا فى قوله فى آل عمران (س ٣ آية ١٢٠) (إن الله بما تعملون محيط) .

- ابن كثير : البداية والنهاية لابن كثير جـ ١١ ص ٢ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٣٢ م
- القفطى : انباه الرواة على أنباه النحاة (ت/ محمد أبو الفضل ابراهيم) جـ ٢ ص ٥٨ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٥٠
- السمعانى : الأنساب (ورقة ٢١٢ - ليدن ١٩١٢ م .
- اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان جـ ٢ ص ١٥٦ ط/ ١ حيدر آباد الدكن سنة ١٣٣٨ هـ
- ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب جـ ٢ ص ١٢١ط/ ١ القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ
- ابن تعرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ ٢ ص ٣٣٢ ط/ ١ القاهرة ١٩٣٠ م
- السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة (ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم) جـ ١ ص ٦٠٦ ، ٦٠٧ ط/ ١ القاهرة ١٩٦٤ م
- ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب جـ ٤ ص ٢٥٧ ط/ ١ حيدر آباد سنة ١٣٢٦ هـ
- ابن حجر العسقلانى : تقريب التهذيب جـ ١ ص ٣٣٧ ط/ ١ القاهرة ١٣٠٨ هـ
- دائرة المعارف الإسلامية : جـ ٦ ص ٤٤٤ ط/ ٢ القاهرة سنة ١٩٦٩ وغيرها .

وانفـرد الهذلى عنه الإستعاذة بعد القراءة ، ولم يحكه عنه غيره ولا هو صحيح عنـه . روى القـراءة عنـه محمـد بن سليمان المعروف بالزردقى . وعلى بن أحمد المسكى ، وأبو سعيد السكرى النفاط ، ويموت بن المزرع . وأبو بكر بن دريد ، وأحمد بن حرب ، وإبراهيم بن حميد الكلابزى ، وأحمد ابن الخليل العنبرى ، والحسين بن تميم ، ومسبِّح بن حاتم[٢]

وأما عن دوران ذكره فى طبقات المفسرين :

نرى الداودى يقول عنه :

«سهـل بن محمـد بن محمـد بن القـاسم أبو حاتم السجستانى : من ساكنى البصرة كان إماما فى علوم القرآن واللغة والشعر . قرأ كتاب سيبويه على الأخـفش مرتــين . وروى عن أبى عبيدة ، وأبى زيد ، والأصمعى وعمر بن كركرة ، وروح بن عبادة . وعنه ابن دريد وغيره» .

وقال عنه أيضا : «وكان أعلم الناس بالعروض واستخراج المُعَمَّى وكان يُعَدُّ من الشعراء المتوسطين ، وكان يُعْنى باللغة ، وترك النحو بعد اعتنائه به ، حتى كأنه نَسِيَهُ ، ولم يكن حَاذِقًا فيه وكان إذا اجتمع بالمازنى فى دار عيسى بن جعفر الهاشمى تشاغل وبادر بالخروج خوفَ أن يسأله مسألة فى النحو[٣]

وماذا عنه فى محيط اللغويين ؟

يقول الأزهرى عنه تحت من أدرجهم فى الطبقة الثالثة من علماء اللغة ومنهم :

(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء . نشر برجسترا سر جـ ١ ص ٣٢٠ ط/ ٢ بيروت سنة ١٩٨٠

(٣) شمس الدين محمد بن على بن احمد الداودى : طبقات المفسرين (ت/ على محمد عمر) جـ ١ ص ٢١٠ ، ٢١١ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٧٢

«أبو حاتم السجستانى ، وكان أحد المتقنين . جَالس الأصمعى وأبا زيد وأبا عبيدة وله مؤلفات ، وكتاب فى قراءات القرآن جامع ، قرأه علينا بهراة أبو بكر بن عثمان وقد جالسه شمر وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ووثّقاه . فما وقع فى كتابى لأبى حاتم فهو من هذه الجهات ، ولأبى حاتم كتاب كبير فى إصلاح المزال والمفسد . وقد قرأته فرأيته مشتملا على الفوائد الجمَّة وما رأيت كتابا فى هذا الباب أنبل منه ، ولا أكمل»(٤)

وأعود فأقول هذه لمحة قصدنا منها التعريف به ، ولكن ماذا عن حياته وطفولته وأسرته ؟

أقول صمتت المراجع فلم تحدثنا عن شىء من هذا . شأنها فى ذلك شأن ما جرى مع مشاهير رجالنا . اهتموا بهم كبارا ، ثم أخذوا يفتشون عن طفولتهم صغارا فما وقفوا عليه والتمسوه لا يُشبع نهم باحث . علما بأن البحث فى الطفولة الباكرة معناه الكشف عن منابع النبوغ والعظمة فى حياة الشخصية محل الدرس والبحث .

فلا نعلم شيئا عن تاريخ ميلاده وأسرته وما عمل أبيه ؟ وهل تزوج هو من أقاربه أم من أسرة بعيدة ؟ عن كل ذلك صمتت المصادر وكل ما أفصحت عنه أنه من مواليد كورة سجستانة . يقول ياقوت :

« . . . وكذلك ذكر لى بعض الهرويين فى سنة نيف وثلاثين وأربعمائة قال : سمعت محمد بن يوسف يقول : أبو حاتم السجستانى من كورة بالبصرة يقال لها سجستانة وليس من سجستان خراسان»(٥)

---

(٤) الأزهرى : تهذيب اللغة جـ ١ ص ٢٢ .

(٥) معجم البلدان جـ ٣ ص ١٩٢ .

أما عن تاريخ ميلاده فأستطيع أن أقول إن المصادر تكاد تجمع أغلبها على أنه توفى سنة ٢٥٥ هـ عن تسعين عاما فمعنى ذلك أنه مواليد سنة ١٤٥ هـ على وجه التقريب .

ولكن ماذا عن أسرته ؟ كل ما نعلمه أنه من أسرة متدينة ، فعن محمد بن إسماعيل الخفاف أنه قال : «كان أبو حاتم وأبواه جعلوا الليل بينهم أثلاثا ، فكان أبوه يقوم الثلث ، وأمه تقوم الثلث ، وأبو حاتم يقول الثلث ، فلما أن مات أبوه جعل الليل بينهما نصفين ، فلما ماتت أمه جعل أبو حاتم يقوم الليل كله . .»(٦)

ويكفى هذا المفتاح لأطلع على كنز هذه العبقرية ، لأعرف كل مكوناتها ، بل الأساس المتين الذى قامت عليه . فهذا بيت دين نشأ فيه الفتى أبو حاتم . ولا أشك أنه تأثر بهذا الجو الدينى فانعكس عليه وتأثر به فكان البداية فى انطلاق الشاب فى الدرس القرآنى ، حتى يصبح علما من أعلام الدراسات القرآنية فيما بعد وعليه يُعَوَّل فيذكره «ابن حبان فى الثقات ، وروى له النسائى فى سننه ، والبزاز فى مسنده»(٧)

وأقول عن طفولته ، فأراه غدا إلي المكتب مع الصبيان ليحفظ القرآن الكريم ومبادىء العربية وقسطا من الحساب . ثم انطلق إلى المسجد الجامع فى البصرة ليلتقى بالشيوخ الأجلاء يعقوب الحضرمى ، والأخفش ، والأصمعى ، وأبى زيد وأبى عبيدة وغيرهم . يستقى من معين علمهم الثَّرِّ تسعفه ذاكرة قوية مستوعبة ومسجلا آراءهم فحفظ لنا تراثهم الذى أخذ يصاول الزمن وما وصلنا منه أفلت من قبضة الضياع . .

---

(٦) غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٣٢٠ .

(٧) بغية الوعاة جـ ١ ص ٦٠٦ .

وإذا تعقبته ـ بخيالى ـ أراه هذا الورّاق الذى يتّجر فى الكتب ، والذى أمتهن هذه الحرفة شأن الشباب الحر المتفتح فى هذه المدينة الرأسمالية . ثم ينطلق إلى المسجد الجامع لتحصيل العلم من الشيوخ الثقات . فغزير علمه وواسع معرفته أساسه ـ فى نظرى ـ أن الكتاب تقلب بين يديه قارئا له ومتاجرا فيه .[8] .

واستماعه إلى الأعراب الأقحاح الوافدين على سوق المربد طلبا للميرة فكان الشعراء والأدباء وعلماء اللغة يهيجون بهم للاستماع اليهم ، وتصحيح مروياتهم عليهم .

وأرى أن احتفاء الشيوخ به دليل نبوغه وعبقريته لِما لا ؟ وقالت المصادر : (. . . وروينا عن الحسين بن تميم البزاز أنه قال صلى أبو حاتم بالبصرة ستين سنة بالتراويح وغيرها فما أخطأ يوما ولا لحنَ يوما ، ولا أسقط حرفا ، ولا وقف إلا على حرف تام[9] .

وأراه قام بهذه المهمة الجليلة وسنه لم يتجاوز الثلاثين . لأن المصادر تجمع على أنه توفى عن التسعين . فهذه شهادة بتمكنه واقتداره فى الدرس القرآنى وتفوقه فى علوم العربية منذ زمن بعيد .

٢ ـ شخصيته وأخلاقه :

نعلم أن الشخصية والخلق تضفيان على الباحث من آثارهما الشىء الكثير مما تنعكس آثاره على المتلقى . فهذه الشخصية ـ محل بحثنا ـ شخصية مرحة فكهة نشرت الحب والفن والجمال فى الدرس ، فشوّقت إلى طلاب العربية عشق علومها .

---

(٨) انباه الرواة جـ ٢ ص ٥٩ .

(٩) غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٣٢٠ .

ولكن قبل أن نتعرض للبحث عنها أو نفصل القول فى تحليلها . نقول ابتداء إنها شخصية موثوق بها ، محل إحترام أهل البصرة ، يقول الزبيدى رواية عن ابن الغازى : «قال : ورأيت عنده قوما من أهل البصرة يعظمونه ويقولون : أنت شيخنا وأستاذنا ، ونحو ذلك من القول»(١٠)

هذه شهادة معاصر له ، ويقوله عنه الأزهرى :

« . . . وقد جالسه شِمْر وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ووثَّقاه»(١١)

ويقول عنه أبو على اللغوى :

«وكان أبو حاتم فى نهاية الثقة والاتقان والنهوض باللغة والقرآن مع علم واسع بالإعراب أيضا ، أخذ ذلك عن الأخفش ، وبصره بالآثار وكتبه فى نهاية الاستقصاء والحسن والبيان . . »(١٢)

ويقـول ابن حجـر العسقلانى : «سهل بن محمد بن عثمان أبو حاتم السجستانى النحوى البصرى صدوق . . . »(١٣)

وقلت إن صدق البـاحث وأمـانته تعكس ظلالها المشرقة الوضيئة على المتلقى . ودليلى فى ذلك ما قاله الأزهرى فى التهذيب عن ابن قتيبة :

وما رأيت أحدا يدفعه عن الصدق فيما يرويه عن أبى حاتم السِّجْزى ، والعباس بن الفرج الرياشى .(١٤)

---

(١٠) طبقات النحويين واللغويين ص ٩٤ .

(١١) تهذيب اللغة جـ ١ ص ٢٢ .

(١٢) أبو الطيب عبد الواحد بن على اللغوى : مراتب النحويين ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٨٠/ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٥٥

(١٣) تقريب التهذيب جـ ١ ص ٣٣٧ .

(١٤) تهذيب اللغة جـ ١ ص ٣١ .

«وأما عن هذه الشخصية المرحة الفكهة ، فحدِّث ولا حرج . ولكن قبل أن أسرد عليك شيئا من قصصه ، أريد أن استوثق من خلقه . فهل مزحه ومرحه له تأثير فيما يحكيه أو يقصه ؟ وهل يجانبه الصواب والصدق فى هذا السبيل ؟

يقول ابن حجر العسقلانى عندما تكلم عن الآجرى :

« . . . وقال أيضا كان أعلم الناس الأصمعى وأبو حاتم . قال أبو عبيد الآجرى وكان أبو داود لا يحدث عنه بشىء ، وسألته عن حديث من حديثه . فأبى أن يحدثنى عنه ، وذكره ابن حبان فى الثقات . وهو الذى صنف فى القراءات وكانت فيه دعابة غير أنى اعتبرت حديثه . فرأيته مستقيم الحديث وإن كان فيه مالا يتعرى عنه أهل الأدب »[١٥]

وارى أن مرحه وفكاهته قرَّبته من رجل الشارع ـ كما يقولون حديثا ـ أو هو فى نظرى ابن الشعب المنغمس فى أعماقه ، لصيق الصلة به . حكى أبو على اللغوى : قال : «وأخبرنا جعفر بن محمد قال : أخبرنا ابراهيم بن حميد قال : دخل رجل على أبى حاتم ، وعلى كتفه صبى ، فقال له : يا أبا حاتم ، ما تُسَمِّى العربُ الرجلَ إذا كان فى فَرِدِ رجله خف وفى الأخرى نعل ؟ قال : لا أدرى ، قال : صدقت لأن فوق كل ذى علم عليم ، يقال مُخَفْنِعل ياغلام . فضحك أبو حاتم حتى شرَق بريقه»[١٦]

نعم إنه فى نظرى أبو حاتم الانسان المرح الفكه العالم الانسان ولكنه عف الضمير ، مستقيم السيرة . لكنه الفن وعشقه للجمال أرى أن ذلك ملك عليه نفسه ومسَّ شغاف قلبه . فالتمس الجمال فى كل شىء حسن . نعم إنه فنان مرهف الحس ، باحث عن الجمال فى الشكل والمضمون . فأما عن المضمون فهو اقتداره على استخراج المعمى والغوص فى أعماق النص

(١٥) تهذيب التهذيب جـ ٤ ص ٢٥٧ .

(١٦) مراتب النحويين ص ٨٢

لاستخراج جوهره .

وأما عن الشكل فهو مبهور بالجمال . . وهذا هو المبرد البصرى الفتى النابغة جميل الشكل ، حلو التقاطيع . يعشقه أبو حاتم . الاستاذ العالم الفنان الانسان . وتحدثت الدنيا والمصادر عن هذا الموضوع فقالت :

يقول الحصرى فى زهر الآداب :

وأنشد الصولى لأبى حاتم السجستانى فى المبرد وكان يلزم حلقته وكان من المِلاح وهو غلام :

ماذا لقيتُ اليومَ مِنْ مُتَمَجِّنٍ خَنِثِ الكلامْ
وقف الجمال بوجهه فَسَمت له حَدَقُ الأنام
حركاته وسكونه يُجْنى بها ثمر الآثام
فإذا خلوت بمثله وَعَزَمْت فيه على اعترام
لم أعد أخلاق العفا فِ وذاك أوكد للغرام
نفسى فداؤك يا أبا العـ ـباس جَلَّ بك اعتصامى
فارحم أخاك فإنه نَزْر الكرى بادى السقام
وأنله ما دون الحرا مِ فليس يرْغبْ فى الحرام»[17]

وقال الدلجى عنه :

قال التيفاشى وغيره كان أفضل أهل زمانه علما وورعا ، وبلغ من فضله أنه كان يتصدق كل يوم بدينار ، ويختم القرآن فى كل اسبوع ، وكان من أظرف أهل زمانه ، وأطيبهم خلوة ، وأحسنهم مفاكهة ، إلا أنه كان مولعا بالغلمان يذهب فيهم مذهب الاستمتاع بالنظر لا قضاء الوطر . ذُكر أن المبرّد

---

(١٧) أبو إسحاق ابراهيم بن على الحصرى القيروانى : زهر الآداب وثمر الألباب : تحقيق على محمد البجاوى جـ ٢ ص ٧٢٧ ، ٧٢٨ ط/ ٢ القاهرة ١٩٧٠ .

كان يحضر حلقته يقرأ عليه وكان المبرد من أجمل أهل زمانه»(١٨)

وجاء بنص متضمن لما قاله الحصرى ، مع زيادة ونقص فى عدد أبياته وخلاف فى ألفاظه .

وقال أيضا : « . . . وكان أبو العباس المبرد يلازم حلقته وهو غلام وسيم فى نهاية من الجمال ، فعمل فيه أبو حاتم وذكر الأبيات . .(١٩)

ولكن رأيت أن لا أترك هذا الموضوع دون بحث وتقص ، ذلك لأنه القرن الثالث بكل ما فيه من خير وشر وصلاح وطلاح ، ولك أن تعلم أن الحرية بكل ما فيها من شيوع للذة وتهتك ومجون ، مَسَّتْ الكبير والصغير .

ولكن الأمر هنا يمس أبا حاتم عالم القرآن وشيخ المدرسة البصرية ، فالموقف خطير إذن ؟ فإذا اهتزت القاعدة تداعى الصرّح .

فرأيت لزاما عَلَيَّ أن أبحث عن مبررات تنفى عن الشيخ ما يُوصم به أصحاب اللذة . وعشاق الجمال . رأيت براءة الرجل فى كتاب مراتب النحويين لأبى على اللغوى حيث يقول :

(وكان فى أبى حاتم دُعابة ، فأخبرنا جعفر بن محمد قال : أخبرنا على ابن سهيل . قال : حضر معنا مجلس أبى حاتم غلام من بنى هاشم ، من آل جعفر بن سليمان أحسن الناس وجها ، فقال أبو حاتم :

نصبوا اللحم للبزا ... ةِ على ذِرْوَتَى عَدَنْ
ثم لاموا البزاة أنْ ... خَلعوا فيهمُ الرَّسَنْ
لو أرادوا عَفَافنا ... نَقَّبُوا وجهه الحَسَنْ

---

(١٨) احمد بن عل الدلجى : الفلاكة والمفلوكون : ص ٨٦ ط/ ١ القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ

(١٩) المرجع السابق ص ٨٦ .

فقيل له فى ذلك ، فقال :

لا تَظنَّــنَّ بى فجــورا فمايزْ   كو فجـور بحـامـل القـرآنِ
أنـا عفُّ الضمير غير مريب   غيرَ أنىِّ متيم بالحســان[20]

ولم تغب الفكاهة عنه ، حتى فى سعيه الدائم فى السماع من الأعراب للغة مصفاة من كدرة العجمة .

قال ابن دريد : «أخبرنى أبو حاتم قال : رأيت مع أم الهيثم أعرابية فى وجهها صُفْرة ، فقلت مالك ! قالت : كنت وحمى بدكّه فحضرت مأدبة فأكلت خيربَّـةَ ، من قراص صلعة ، فاعترتنى زُلخَّةٌ . فضحكت أم الهيثم وقالت إنك لذات خزعبلات أى لهو وأنشد :

كأنَّ متنى أخذته زُلخة   من طول جذبى بالفرىِّ المُفْضَخَّة[21]

ويقول الوزير ابن المقرب :

وجدت بخط أبى حاتم السجستانى ، عن الأصمعى ، قال : سمعت امرأة زُرَارة فى الإسلام مؤذنا يقول :

«أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله» فقالت مالزرارة لا أسمع له ذكرا»[22]

فهذه فكاهة هادفة ، علما بأن الإسلام اقتلع من الأنفس روح العصبية والفخر بالآباء والجدود .

---

(٢٠) مراتب النحويين ص ٨١

(٢١) ابن دريد : جمهرة اللغة (ت/ الشيخ محمد السورتى ، ومستر كرنكو جـ ١ ص ١١ ط/ ١ حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٤ هـ

(٢٢) الوزير ابن المقرب : أبو القاسم الحسين بن على بن الحسن : الايناس بعلم الأنساب ت/ إبراهيم الابيارى ص ١٤٦ ط/ ٢ بيروت سنة ١٩٨٠ م

وعن الفكاهة الهادفة المشبَّعة بالروح المرحة والتى تفيض حبا وعلما وفائدة من جميع أقطارها ـ ما حكاه ابن السيد البطليوسى قال : تحت باب ما جاء محرَّكا والعامة تسكنه الشاهد الذى جاء به ابن قتيبة فى أدب الكاتب :

قد وكلتنى طَلَّتى بالسَّمْسرَهْ وأيقظتنى لطلــوع الزُّهَــره

قال المفسر :

حكى أبـو حاتم أن رجلا من العرب قالت له امرأته هلاَّ غدوت إلى السوق فتجرت وجئتنا بالفوائد كما يصنع فلان . فقال إن زوج فلان خير له منك لى ، تصنع له النبيذ فيشربه ، ويغدو إلى السوق . فصنعت له نبيذا ، وايقظته فى السحر وسقته إياه فغدا إلى السوق فخسر عشرة دراهم فقال :

قد أمــرتنـى طلتى بالسَّمسرهْ وَصبَّحتْنى لطلوع الـزُّهــرهْ

فكـان ما ربحت وسط العيشرهْ عَسَّـين من جرتهـا المخمــرهْ

وفى الزحام ان وضعتُ عَشرهْ»(٢٣)

ولا يسلم العظيم من مطعن يوجه إليه ، فقد اتهموه بالشعوبية ، جاء ذلك فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى يقول فيه عن ابن الغازى : (. . . وكان يُزَنّ بنحو ما زُنّ به أبو عبيدة ، ولكن كان بريئا منه ، إلا أنه كانت فيه دُعابة ، فكان ذلك مما يُوجَد به السبيلُ إليه)(٢٤)

---

(٢٣) ابن قتيبة : أدب الكاتب (ت/ محمد الدالى) ص٣٨٣ ط/ ١ بيروت سنة ١٩٨٢ ، ابن السيد البطليوسى : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ص ٢٠٠ ط/ ١ بيروت سنة ١٩٧٣ ، أبو الطاهر محمـد بن يوسف بن عبـد الله التميمى : المسلسل فى غريب لغة العرب (ت/ محمد عبد الجواد ، ابراهيم الدسوقى البساطى) ص ٢٧٠ ط/ ٢ القاهرة سنة ١٩٨١ .

(٢٤) طبقات النحويين واللغويين ص ٩٥ .

وجاء هذا الاتهام كذلك فى معجم الأدباء لياقوت الذى يقول عن الذين رمـوه بالشعوبية ، ويقصد أبا على التّنوخى ، جاء ذلك فى أخبار على ابن الحباب الجمحى : «وقال أبو على عقب هذا : أكثر رواة العرب فيما بلغنى عنهم إمـا خوارج وإمـا شعوبية ، كأبى عبيدة معمد بن المثنى وأبى حاتم السجستانى ، وفلان وفلان وعدَّد جماعة»[٢٥]

وأراها دعوة عريضة إن كشفت عن شىء ، فإنما تكشف عن حقد تثيره هذه الشخصية المرحة الفكهة المتفتحة الواعية المتعمقة فى فهم أسرار القرآن .

هل حرَّك مرحـه وفكاهته أحقاد الحاقدين عليه؟ ، وكيف تستقيم روح التعصب البغيض مع هذه النفس السَّويَّة ، المتغلغلة فى نفس الشعب ؟ فهذا أبو عثمان الخزاعى يرى مَنَامًا يزكيه ويحمل الناس على تقديره :

قال الزبيدى : «وَرُوِىَ عن أبى عثمان الخزاعى أنَّه كان قال لأبى حاتم : كنتُ البارحة بين النائم واليقظان ، فرأيتنى فى المحراب ، إذْ سمعت قائلا يقول :

أبـــو حاتـــم عالم بالـــعـلوم	فأهـل العلوم له كالخَـوَلْ[٢٦]
عليكـــم أبـــا حاتـــم إنـــه	له بالـــقـــراءة عِلْمٌ جَلَلْ
فإن تفـقـــدوه فلن تدركـــوا	له ما حييتُـمْ بعـلـم بَدَلْ[٢٧]

(٢٥) معجم الأدباء جـ ١٦ ص ٢١٣ .

(٢٦) طبقات النحويين واللغويين ص ٩٥ وهامشها : الخول : الحاشية ، يطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

(٢٧) هامش المرجع السابق ص ٩٥ : جرى على لغة ربيعة من الوقف على المنصوب بالسكون ومثله قول الأعشى :

إلى المرء قيْسٌ أطيلُ السرُى   وآخذ من كُلِّ حَىٍّ عُصُمْ

وأنشد أبو عمرو البصرى لنفسه فيه :

إلى مَنْ تَفزعون إذا فجعتم بسَهل بعدَه فى كل باب
وَمَنْ ترجونه من بعد سهْل إذا أوْدى وَغُيِّب فى التراب ![28]

أقول إنها دعوة عريضة لعلها نتيجة اتصاله بأبى عبيدة وكرَم أبى عبيدة له لأنه قال : «كان أبو عبيدة يكرمنى على أننى من خوارج سجستان[29]

وجاء فى أمالى المرتضى : «أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ، قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم قال : كان أبو عبيدة معمر بن المثنى صُفْرِيًّا ، وكان يكتم ذلك ، فأنشدنى لعمران بن حطان

أنكرتُ بعدَك مَنْ قدْ كنتُ أعرفه ما النَّاس بعدَك يامِرْداسُ بالنَّاسِ
إمَّا تكنْ ذقت كأسًا دار أولها على القرون فذاقوا نَهْلَة الكاسِ
قدْ كنتُ أبكيك حينا ثم قد يَئست نفسى فما ردَّ عَنىِّ عبرتى ياسى)[30]

فهل جرَّت عليه صلته بالرجل وايثاره له هذه المتاعب وما وُصم به ؟

وأعود فأقول إن فى تصرُّف أبى حاتم ما ينفى ذلك ودليلى أنه صرَّح بما كان بينه وبين أبى عبيدة ، فلو كان كذلك لما صرَّح به ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، إن أخلاق الشعوبية لا تستقيم مع أخلاق أبى حاتم . لأنهم قدَّسوا المادة واعتبروا الكرم نقيصة وسفها .

(28) المرجع السابق ص 95
(29) أنباه الرواة جـ 3 ص 277 .
(30) الشريف المرتضى : أمالى المرتضى (غرر الفرائد ودرر القلائد ، ت/ محمد أبو الفضل ابراهيم جـ 1 ص 635 ، ص 636 ط/ 1 القاهرة سنة 1954 .

أقول هذا لا يستقيم مع رجل يتصدق كل يوم بدرهم ، ويختم القرآن فى كل أسبوع(٣١)

ولكن سآتى بشهادة ابن جنى له ، جاء ذلك فى معرض حديثه عن الأصمعى فى باب (من صدق النقلة ، وثقة الرواة والحملة) : «ويكفيك من ذا خشنة أبى زيد وأبى عبيدة . وهذا أبو حاتم بالأمس وما كان عليه من الجدِّ والانهاك ، والعصمة والاستمساك»(٣٢)

رحلاته :

قال السيوطى وغيره :

«ودخل بغداد ، فسئل عن قوله تعالى : ﴿قوا أنفسكم﴾ ما يقال منه للواحد ؟ فقال : قِ ، فقال : فالاثنين ؟ فقال : قِيا ، قال : فالجمع ؟ قال : قُوا ، قال : فاجمع لى الثلاثة ، قال : قِ ، قِيا ، قوا .

قال وفى ناحية المسجد رجل جالس معه قماش ، فقال لواحد : احتفظ بثيابى حتى أجىء ، ومضى إلى صاحب الشرطة ، وقال : إنى ظفرتُ بقوم زنادقة يقرؤن القرآن على صياح الدِّيك ، فما شعرنا حتى هجم علينا الأعوان والشرُّطة فأخذونا ، وأحضرونا مجلس صاحب الشرطة . فسألنا فتقدمت إليه ، وأعلمته بالخبر ، وقد اجتمع خلق من خلق الله ، ينظرون ما يكون ، فعنفنى وعزلنى وقال : مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا ، فعاد أبو حاتم إلى البصرة سريعا ، ولم يُقم ببغداد ، ولم يأخذ عنه أهلها(٣٣)

---

(٣١) زهر الآداب جـ ٢ ص ٧٢٨ .

(٣٢) أبو الفتح عثمان بن جنى : الخصائص : ت/ محمد على النجار جـ ٣ ص ٣١١ ط/ ٢ بيرت مصوَّرة من نسخة القاهرة .

(٣٣) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة جـ ١ ص ٦٠٦ ، وطبقات المفسرين للداودى جـ ١ ص ٢١١ .

وأراها خسارة عظيمة للعلم ، إذ لو استقر به المقام فى بغداد لأفاد فائدة كبيرة .

وإن كان المبرد يقول ـ وأراه فيما يتعلق بالنحو : «ولو قدم (بغداد) لم يقم له منهم أحد وكان إذا التقى هو والمازنى فى دار عيسى بن جعفر الهاشمى ، تشاغل أو بادر خوفا من أن يسأله المازنى فى النحو»(٣٤)

٤ ـ علاقاته برجال عصره :

قال الزبيدى : قال ابن الغازى :

(. . . كتب يعقوب الصفَّار والى سجستان ، وكان متغلبا عليها ، وكان فى ملك شديد ـ يسأل أبا حاتم نحوا مختصرا ، فأراد أن يبعث إليه كتب الأخفش فقيل له : لو أراد كتب الأخفش علم مكانها ، وإنما أراد من قِبَلك . فبعث إليه كتابه المختصر فى النحو المنسوب إليه ، وهو على مذهب الأخفش وسيبويه»(٣٥)

أبو حاتم والحركة العلمية فى عصره :

سبق لى أن تكلمت فى هذا الموضوع بإفاضة فى بحثى عن « المبرد ودراسة كتابه الكامل» وتعرضت للدور العلمى النشط الذى قام به المسجد الجامع .

ولكن رأيت لأبى حاتم دورا غير منكور فى دفع الحركة الثقافية فى هذا القرن خاصة فى مجال الدرس القرآنى ، أضف إلى ذلك جهوده المثمرة فى الدرس اللغوى والمباحث الأدبية ، وكان لنشاطه العلمى فى الرواية عن الشيوخ الثقات كالأصمعى وأبى زيد وأبى عبيدة ، أنه حفظ لنا تراثهم

---

(٣٤) أنباه الرواة جـ ٣ ص ٥٩ .

(٣٥) طبقات النحويين واللغويين ص ٩٤ .

الفكرى . وما ننعم به إنما هو نتيجة جهاده وصبره على مشاق البحث .

ولكن أهم ما تميزت به البصرة بالإضافة إلى دور المسجد الجامع ، سوق المربد وما كان يجرى فيه من لقاءات بين الشعراء والنحويين اللغويين ، وبين الأعراب الفصحاء لعرض مروياتهم اللغوية عليهم أملا فى تصحيحها وتنقيتها من كُدْرة العُجمة .

أضف إلى ذلك ثقافة المِصرْ بأجناسه المختلفة ، وما يخلفه ثراثهم الثقافى والحضارى فى هذا القرن .

كما أننا لا ننكر دوره البارز كمتلق عن الشيوخ ثم كمعلم فى هذا المعهد العلمى العتيق أضف إليه أنه كان دافعا لحركة التأليف والترجمة والنشر فى هذا القرن لأنه كان من الورَّاقين الذين يتجرون فى الكتب . فالكتاب فضلا عن تقلبه في يديه قارئا له أو متاجرا فيه . أراه كذلك دافعا به منشورا فى الآفاق . لأن دور الورَّاقين فى الزمن القديم أشبه بدور النَّشر المعاصرة .

أضف إلى ذلك ما كانت تقوم به دور الوراَّقين بإعارة الكتب لغير القادرين لقراءتها وردها نظير أجر . وهذه الحركة تشبه ما تقوم المكتبات العامة فى عصرنا من إعارة للكتب تنشيطا للحركة الثقافية ودفعا لها .

فقد حكى صاحب كتاب المكافأة فى حديثه عن اسحق بن نصير العبادى وكيف أن أحد الوراقين كان يعيره الكتب ويؤخر الجُعْل إلى أجل يكون فيه التيسير على إسحاق[٣٦]

ولعل أخطر الظواهر العلمية فى هذا القرن ظاهرة التخصص فقد ألح عليها العلماء ، وبرزت فى هذه الحركة المزدهرة . وتكلم عنها ابن قتيبة فى حديثه فى كتابه تأويل مختلف الحديث .

---

(٣٦) أبو جعفر الكاتب : المكافأة ص ٢٨ ط/ ١ بولاق سنة ١٩٤١ .

إلا أن أبا حاتم السجستانى قدم التفسير الواقعى لهذه الظاهرة (قال : محمد بن الحسن الأزدى : حدثنا أبو حاتم قال : وفد علينا عامل من أهل الكوفة ، ولم أر فى عمال السلطان أبرع منه ، فدخلت عليه مسلما فقال لى : يا سجستانى ، من علماؤكم بالبصرة ؟ قلت : الزيادى أعلمنا بعلم الأصمعى ، والمازنى أعلمنا بالنحو ، وهلال الرأى أفقهنا ، والشاذكونى من أعلمنا بالحديث وأنا رحمك الله ـ أنسب إلى علم القرآن ، وابن الكلبى من أكتبنا للشروط . قال : فقال لكاتبه : إذا كان غدا فأجمعهم إلىّ ، قال : فجمعنا فقال : أيكم المازنى : فقال أبو عثمان : هانذا ، قال : هل يجرى فى كفّارة الظهارة عتق عبد أعور ؟ قال المازنى : لست صاحب فقه : أنا صاحب عربية ، قال يازيادي ، كيف يكتب بين بعل وامرأة خالعها على الثلث من صداقها ؟ قال : ليس هذا من علمى ، هذا من علم هلال الرأى . قال : يا هلال ، كم سند ابن عون عن الحسن ؟ قال : ليس هذا من علمى ، هذا من علم الشاذكونى . قال : ياشاذكونى من قرأ (ألا إنهم يثنون صدورهم) . قال : ليس هذا من علمى هذا من علم أبى حاتم ، قال يا أبا حاتم ، كيف تكتب كتابا إلى أمير المؤمنين ، تصف خصاصة أهل البصرة ، وما أصابهم بى وتسأله النظر بالبصرة ؟ قلت لست صاحب براعة وكتابة ، أنا صاحب قرآن ، قال ما أقبح (بالرجل) يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فنا واحدا حتى إذا سئل عن غيره لم يحل فيه ، ولم يُمرّ لكن عالمنا بالكوفة الكسائى لو سئل عن هذا كله لأجاب»[٣٧]

فهذا الحديث يكشف عن الحركة العلمية وتطورها فى داخل المصريين العراقيين البصرة والكوفة . وكيف أن ظاهرة التخصص العلمى سائدة فى البصرة وغير قائمة فى الكوفة .

---

(٣٧) أبو احمد بن عبد الله العسكرى : المصون فى الأدب (ت/ عبد السلام هارون) ص ١٢٠ ـ ص ١٢٢ ط/ ٢ القاهرة سنة ١٩٨٢ ، وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٣٠ ـ ٤٣٤

إلا أن الزمن رَسَّخ من المفهوم البصرى ، وجعله المبدأ الذى ساد الحركة العلمية فيما بعد ، بل رأينا ابن قتيبة يقرر ذلك فيقول :

«وليس على المحدث عيب أن يزل فى الإعراب ، ولا على الفقيه أن يزل فى الشعر . وإنما يجب على كل ذى علم أن يتقن فنه إذا احتاج الناس إليه فيه . وانعقدت له الرئاسة به ، وقد يجتمع للواحد علوم كثيرة والله يؤتى الفضل من يشاء[٣٨]

أشرنا آنفا إلى لقائه بحاكم البصرة وعاملها ، وسبق أن قلنا إنه راسل ابن الصفَّار لما سأله كتابا فى النحو . وتقول المصادر إنه اتصل بعيسى بن جعفر ، وهو واحد من أربعة أنفس ، وجهها الأمين إلى المأمون ، وهم : العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن على ، وعيسى بن جعفر بن المنصور ، وصالح صاحب المصلى ، ومحمد بن عيسى بن نهيك[٣٩]

ويقول القفطى عنه : وكان إذا التقى هو والمازنى فى دار عيسى بن جعفر الهاشمى تشاغل عنه أو بادر خوفا من أن يسأله المازنى عن النحو[٤٠]

أما عن نشاطه هو فى المحيط البصرى فكان : «جماعة للكتب وكان يتجر فيها»[٤١]

وطبعا هذه التجارة تجعل صاحبها يقف على تطور الحركة العلمية وازدهارها ، أو بتعبير أدق تجعله راصدا لهذه الحركة متتبعا لكل نشاط علمى فيها ، تأليفا وترجمة ، بيعا وشراء . وكأنى به يقف على شرف عال يرصد الحركة العلمية ويحركها .

---

(٣٨) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث : ص ٥٤ ط/ ١ القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ

(٣٩) ابن الأثير الجزرى : الكامل فى التاريخ (ت/ عبد الوهاب النجار) جـ ٥ ص ١٣٨ ط/ ٢ بيروت سنة ١٩٧١

(٤٠) أنباه الرواة جـ ٢ ص ٥٩

(٤١) أنباه الرواة جـ ٢ ص ٥٩

فإذا أضفنا إلى ذلك أن هذا الوَّراق أو الناشر - فى تعبيرنا المعاصر - عالم موسوعى متمكن أدركنا قيمة عمله وآثار تحريكه للانطلاقة الثقافية المعاصرة . ولكن كم عدد الصبيان عنده الذين يقومون بعملية النسخ وكم عدد الكتب ! لابد أنها حركة نشيطة وأن أعداهم كبيرة تتوق للعمل تحت إشرافه لخفة روحه وفكاهته .

ولكن هل حدثتنا المراجع عن عدد الكتب فى هذا الدكان ؟ لم تحدثنا ولكنها تقول إن أعدادها كبيرة جدا ، لأنها قوِّمت بعد وفاته فى مزاد بها يساوى أربعة عشر ألف دينار(٤٢)

هذا ويبدو لى أنه كان خبيرا بالورق والخط .

قال أبو حاتم : إذا أردت أن تُضمِّن كتابا سرًّا فخذ لبنا حليبا فاكتب به فى قرطاس ، فيذر المكتوب إليه عليه رمادا سَخنا من رماد القراطيس فيظهر المكتوب ، وإن كتبه بماء الزاج الأبيض ، فإذا ذر عليه المكتوب إليه شناق العَفْص ظهر وكذا بالعكس . فكأنى به سبق ما تعارف عليه المحدثون باسم الحبر السرى كيف لا يعرف هذا وهو من الوراقين العلماء !!

أبو حاتم النسَّابة .

تكلمنا عن أبى حاتم الورَّاق ، الواقف الرَّاصد لحركة الكتاب فى القرن الثالث الهجرى : تأليفا وترجمة ونشرا . فكأنىِّ به يتابع الحركة العلمية فى انطلاقها عن كثب ، فهو فى البصرة إمامها وخطيب مسجدها ومقيم شعائرها ، والمسجِّل للحركة الاقتصادية والاجتماعية فيها يقول أعرابى فى رثائه :

---

(٤٢) وفيات الأعيان جـ ٢ ٤٣٠ - ٤٣٤

من للدَّواوين إذا حُصِّلتْ وَكَتْب أملاكِ بنى هاشم[٤٣]

لكنه كان عالما بالتاريخ والانساب يقول القفطى»

«وقال أبو حاتم : اليزيدى مولى لبنى عدى ، وليس منهم أيضا ، وإنما كان نازلا فيهم»[٤٤]

أبو حاتم شاعرا :

قالـوا عنـه إنه من الشعراء المتوسطين ، ولكن إذا نظرنا فى شعره نراه يفيض رقة وعذوبة ، ويبدو لى أَنَّ عشقه للجمال ملك عليه أقطار نفسه . بل إن نفسه وعشقه أعطاه انطباعا بأن يرى الجمال فى كل شىء يروقه . فخياله واقتـداره وعشقه يحيلان القديم جديدا مُضْفِيا عليه من حسه وجمال روحه رونقا وحياة كما أنك فى غزله تحس باللوعة والاحتراق . معنى ذلك أن روحه شفافة وإحساسه عميق يحركه شوق عنيف ويدفعه خيال عجيب . والذى يكشف لك عن ذلك أن الهوى به عاصف وأن البعاد يحرقه بل كما يقول يَعَضُّ كبده كأنه وحش مفترس يفتك بكبده الرقيق المنصدع تحت تأثير الحب يقول :

الـدمـع من عينى مُرْفَضٌ وللهـوى فى كبـدى عَضٌّ
أخلَقَ وجهى شادِن وجهُـه عنـدى جديدٌ أبـدا غَضٌّ

وفى هذا البيت يقول إن حياته تجددت ، بل غدا شابا جميلا رشيقا لأن نظرات من أحب خلقته خلقا جديدا ، فغدا غَضَّ الإهاب جميل الشكل والصورة .

---

(٤٣) مراتب النحويين ص ٨٠ ، طبقات النحويين واللغويين ص ٩٦ .

(٤٤) انباه الرواة جـ ٤ ص ٢٨ .

بل إنى أراه بلغ القمـة إحساسا ورقة شعور ، فهو عندما يرى حبيبه قادما ، تزلزل الأرض زلزالها ، فلا يتماسك نفسا ولا حسا ، بل كل شىء حواليه يتداعى ، لأن من أَحَبَّ سلبه القدرة على السيطرة على نفسه استمع اليه :

أُرْعَدُ إنْ أبصرتُه مُقبْلا　　كأنَّما بى تزْحفُ الأرضُ(٤٥)

ويقول :

(كبَدَ الحسود تقطعى　　قد بات من أهوى معى)(٤٦)

فلا يهم بعد ذلك حسد الحاسدين ولا كيد الكائدين ولا عذل العاذلين لأن ما يريده قد وصل إليه . فهو وحبيبه مستغرقان غابا حسا ووجودا عن هذا العالم .

وأشعـاره فى المبرد والتى عرضنا لها من قبل فيها الكفاية للكشف عن معايير الجمال ، فعشقه معنوى ، يهوى الجمال لذاته ، ويستغرق وجدانه ، أمَّا العشق المحرَّم فلا سبيل إليه لأنه يقول :

أنا عَفُّ الضمير غير مُريب　　غير أَنىِّ مُتَيَّمٌ بالحسان(٤٧)

نقد موجه إلى أبى حاتم :

وأخيراً أقول لا يسلم العظيم من هنة تلحق عمله ، لأن الكمال لله . وجدت عند قراءتى لكتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لابن سعيد

---

(٤٥) طبقات النحويين واللغويين ص ٩٥ ،
(٤٦) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٣٠/ ٤٣٤ .
(٤٧) مراتب النحويين ص ٨١ .

العسكرى أنه قال : «وقد فضح بالتصحيف خلق من أهل الآدب أو من الأشراف والقضاة والرؤساء ، وهجوا به ، وبقى ذمهم مخلدا فى بطون الكتب ، وقد مدح بالاحتراس من التصحيف والتحفظ منه جماعة كثيرة[٤٨]

قال ابن سعيد العسكرى : «وقد هجا بعض الشعراء أبا حاتم السجستانى ، وهو واحد عصره فى فنِّه بضد هذا فقال :

إذا اسند القومُ أخبارهم   فإسناده الصُّحْف والهاجِسُ[٤٩]

وجاء فيه تحت (ما وهم فيه أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى :

أخبرنا ابن دريد : سمعت أبا حاتم السجستانى يقول أنشدت الأصمعى

جأبا ترى بليته مُسَحَّجًا

(فقال : ترى بَليلَهُ مُسحَّجاً : قال ومن أنشدك هذا ؟ فقلت : أَعْلَمُ النَّاس فتغافل عنى)[٥٠]

هذا النص يكشف عن الحرية الفكرية فى المدرسة البصرية ، وأن

---

(٤٨) أبو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، ت/ عبد العزيز احمد ص ١٨ ، ص ١٩ ط/ ١ القاهرة ١٣٨٣ هـ .

(٤٩) المرجع السابق ص ١١ .

(٥٠) المرجع السابق ص ١١٤ ، ١١٥ . والخبر بتمامه فى اللسان : قال أبو حاتم : قرأت على الأصمعى فى جيمية العجاج : جأبا ترى بليته مسحجا

فقال بليله ، فقلت بليته . فقال هذا لا يكون . فقلت أخبرنى به من سمعه من فلق من خلق فِى رؤبة ـ أى شق فمه ـ أعنى أبا زيد الأنصارى ، قال هذا لا يكون . قلت جعله مصدرا ، أراد تَسْحيجا ، فقال هذا لا يكون ، قلت قال جرير :

ألمْ تَعْلَمْ مُسرَّحِىَ القوافي   فلا عِيًّا بهنَّ ولا اجتلابا

أى (تسريحى) ، أى فكأنه أراد أن يدفعه ، فقلت له : فقد قال : «ومَـزَّقناهم كل مُمَزَّق) فأمسك ، قال الأزهرى : كأنه أراد ترى بليته ، فجعل مسحجا مصدرا (اللسان مادة سحج)

الاعتداد بالرأى الصواب له حرمته وقداسته . وليس ما يقوله الشيخ يؤخذ قضية مسلمة ، ولكنه الرأى والحجاج بالعقل فى نطاق العلم والأخلاق الفاضلة .

كما أن الـروح السائدة فى المدرسة البصرية بين الشيوخ والتلاميذ روح يحكمها الظَّرْف وحسن الخلق والتبادل العلمى ، وحتى الفكاهة التى تشيع فى الـدرس ، فكاهة مستملحة هادفة ، جاء فى الكتاب (شرح التصحيف قال : «أخبرنى محمد بن يحيى ، أخبرنا محمد بن الحسن عن أبى حاتم ، قال : قرأت على الأصمعى شعرا للمتلمس ، فسبقنى لسانى ، فأردت أن أقول

أغنيت شأنى فاغنوا اليوم شأنكم
واستجمعوا فى مِراس الحرب أوكيسوا

فقلت : أغنيت شاتى ، فقـال يا للعجلة قبل رجوع لفظى : فاغنوا اليومَ تَيْسكُم إذن ! !»[51]

ومما حكاه عنه أيضا :

«حدثنا ابن دريد عن أبى حاتم قال : قال : الأصمعى لا يقال أَرْهَنْتُ) فقلت له فقول الشاعر :

يطوى ابن سُلَيْمى بها مِنْ رَاكب بُعُدًا
عِيديَّةً أُرْهِنَتْ فيها الدَّنانيرُ

فقال الأصمعى : معنى أُرهِنَتْ : وُضِعَت الدَّنانير لِتؤْخَذَ بها

قال . وأنشد الأصمعى :

فلما خَشيتُ أظافيرهُ   نجوتُ وَأَرْهَنهُمْ مَالِكا

(51) شرح ما يقع فيه الصحيف والتحريف ص ١١٥

ولا يقال أرْهَنْتُهم ، قال : ويقال أرْهن فلان له الشرَّ حتى كفَّ عنه ، أى أثبته وهذا راهن لك أى دائم ثابت[٥٢]

وفاته :

وآن لهذه الشمس أن تغيب ، فانتقل إلى الرفيق الأعلى فى سنة ٢٥٥ هـ على أرجح الأقوال . ولكن اختلفت المصادر فيما بينها اختلافا كبيرا فمنها من يجعل تاريخ الوفاة سنة ٢٤٨ هـ ومنها من يجعلها سنة ٢٥٠ هـ ومنها يرصدها فى سنة ٢٥٥ هـ . وإليك بيانها :

(أ) الذين قالوا إن الوفاة فى سنة ٢٤٨ هـ :

«وكانت وفاته فى المحرم - وقيل فى رجب سنة ثمان واربعين ومائتين بالبصرة ذكره ابن خلكان ، ثم شيخنا فى طبقات النحاة»[٥٣]

(ب) ومن الذين تأرجحت أقوالهم بين سنة خمسين ومائتين ، وما قبلها .

ابن الأثير : فيقول عن حوادث سنة خمسين ومائتين :

«وفيها توفى أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى اللغوى . .[٥٤]

وجاء فى بغية الوعاة للسيوطى أنه توفى : «سنة خمسين أو خمس وخمسين أو أربع وخمسين ، أو ثمان واربعين ومائتين وقد قارب التسعين»[٥٥]

---

(٥٢) شرح ما يقع فيه الصحيف والتحريف ص ٣٠٨)
(٥٣) طبقات المفسرين للداودى جـ ١ ص ٢١٢
(٥٤) الكامل فى التاريخ جـ ٥ ص ٢١٨ .
(٥٥) بغية الوعاة جـ ١ ص ٦٠٦

ويقول ابن حجر حكاية عن السيرافى عن ابن دريد : «أخبرنى أنه مات سنة مائتين وخمس وخمسين ، وقال غيره سبتة (وخمسين) ويقال آخر سنة (مائتين وخمس وخمسين[٥٦] .

أما المصادر التى اتفقت على أن الوفاة كانت مائتين وخمس وخمسين :

فهى :[٥٧] الفهرست لابن النديم ، وطبقات النحويين واللغويين للزُبيدى[٥٨] غاية النهاية[٥٩] ، دول الاسلام للذهبى[٦٠] ، النجوم الزاهرة[٦١] ، وشذرات الذهب[٦٢] وأنباه الرواة[٦٣]

ولكن المصدر الذى أُزكِّيه أخبار النحويين البصريين للسيرافى عن ابن دريد الذى يقول عنه : «وعليه يعتمد فى اللغة أبو بكر بن دريد ، وأخبرنى أنه مات فى سنة خمس وخمسين ومائتين»[٦٤]

ويقول الزبيدي :

«وقرأت فى بعض الكتب : توفى أبو حاتم سهل بن محمد بالبصرة فى رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، ودفن بصرَّة المُصَلىَّ وصلى عليه سليمان ابن

---

(٥٦) تهذيب التهذيب جـ ٤ ص ٢٥٧

(٥٧) الفهرست لابن النديم ص ٩٣

(٥٨) طبقات النحويين واللغويين ص ٩٦

(٥٩) غاية النهاية جـ ١ ص ٣٢١

(٦٠) شمس الدين الذهبى : دول الإسلام ، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم جـ ١ ص ١٥١ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٧٤ .

(٦١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ ٢ ص ٣٣٥ ط/ ١ ـ القاهرة .

(٦٢) أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ١ ص ١٢١ ط/ ٢ ـ بيروت .

(٦٣) انباه الرواة جـ ٢ ص ٦١

(٦٤) أخبار النحويين البصريين ص ٧٢

جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان يلى البصرة يومئذ(٦٥)

منزلته :

يقولون إن الإنسان ابن خبره ، وأنَّ البدايات تدل على النهايات ، ويقولون كذلك من أُحرقت بدايته أشرقت نهايته . وهذا أبو حاتم حامل القرآن المنافح عن العربية منذ نعومة الأظفار انتقل إلى الرفيق الأعلى وغدا ذكرى . فما هى منزلته فى قلوب البصريين وما هى نظرة العلماء المعاصرين له بعد وفاته ؟ .

تقول المصادر :

جاء فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى :

«أخبرنى احمد بن سعيد ، حدثنا احمد بن خالد ، حدثنا مروان بن عبد الملك سمعت الرياشى يقول ونحن على قبر أبى حاتم لَمَّا دفناه وهو يترحم عليه : ذُهِب معه بعلم كثير . فقال له بعض أصحابه : كتُبه ، فقال العباس الكتب تؤدي ما فيها ، ولكن صدره»(٦٨)

ودخل أعرابى مسجد البصرة ، فتفقَّد أبا حاتم - وكان مختلفا إليه - فأعلم بموته . فقال :

يابانىَ الدنيا للذَّاتِه	أَعْظِم بذكر الموتِ من هادمِ
أما تَرى الإخوان قد سارعوا	بقادِمٍ منهم على قادِمِ
وَمَرَّ مَنْ قد كنتُ تُزْهى به	ولست مما ذاق بالسَّالِمِ

(٦٥) طبقات النحويين واللغويين ص ٩٦

(٦٨) طبقات النحويين واللغويين ص ٩٥

ولـيس نقص الأرض فى جاهـلٍ	كلاً ، ولـكـن ذاك فى عالمِ
أمَّـا الـعـرقـان فقـد أقـفـرا	بحـادثٍ حَلَّهـا قاصِـم
من كان للخُـطبـة يُعنـى بها	ولـلغـريب المُشْكـل العـاتم
قد ذهـب الـعـلم بأعـلامـه	والـنـحـوُ من بعـدِ أبـى حاتِـم
مَنْ للدَّواوين إذا حُصِّـلتْ	وَكـتْـب أمْـلاك بنـى هاشـم
مفـتـاح قُفْـل ضَلَّ مفـتـاحُـه	ولـؤلـؤ يبـقـى بلا ناظِـمِ
يامَـسـجـدَ الـبَصرةْ لِمْ تَبكِـهِ	بواكف من دَمْعِـكَ السَّـاجِمِ [٦٩]

وماذا عن كتبه ؟

اختلفت المصادر فيما بينها عن مصيرها ، فمصدر يقول (وسمع ابن الصَّفار بموت أبى حاتم ، واشتاقت نفسه إلى كتبه فسَيرَّ من ابتاعها من ورثته ، ووقف أهل البصرة عن المزايدة فيها خشية ابن الصَّفَّار ، ومصانعة له ، فأبيعت بقيمة أربعة عشر ألف دينار ، ونقلت إلى يعقوب ، لم يترك منها شىء[٧٠]

ومصدر آخر يقول إن يعقوب ارسل من يبتاعها ، ولكن أهل البصرة فضلوا أن تكون عند ابن السِّكيت قال المصدر : «واشتراها ابن السِّكيت بدون ذلك محاباة[٧١]

---

(٦٩) مراتب النحويين ص ٨٠ ، طبقات النحويين واللغويين ص ٩٦ .

(٧٠) انباه الرواة جـ ٢ ص ٦٤

جاء فى شذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٥٠) : «هو يعقوب بن الليث الصِّفَّار ، غلب على الشرق ، وقاتل الخوارج توفى سنة ٢٦٥ هـ) .

(٧١) شذرات الذهب جـ ١ ص ١٢١

الباب الأول

الفصل الثانى

شيوخه

شيوخه :

أثَّرت الأستاتذة والعلماء الثقات فى شخصيته وفى تكوينه العلمى فخلقوا منه عالما موسوعيا ، ثقة ، محيطا بأسرار العربية . فقه قرآنها وأحاط بعلوم الحديث ، وغاص في بحار اللغة ، فاستخرج لآلئها ، وعرَّج على الشعر فاستخرج المُعَمَّى ، وكان فنانا بكل ما فى هذه الكلمة من معَانٍ .

وعلينا أن نتعرَّف على الأساتذة حتى نستطيع أن نعرف التركيب التى تشكلت منه هذه العبقرية .

١ ـ يقول السمعانى : «وأبو حاتم : سهل بن محمد السجستانى ممن سكن البصرة ، يروى عن يزيد بن هارون وأبى جابر الأزدى»[1]

وجاء فى معجم الأدباء لياقوت عن يعقوب بن إسحاق بن زيدابن عبد الله الحضرمى بالولاء البصرى أبو يوسف وأبو محمد القارىء ، ثامن القُرَّاء العشرة ، الإمام فى القراءات والعربية ، ولغة العرب والفقه . أخذ القراءة عن ابن ميمون والعطاردى ، وروى عن حمزة والكسائى ، وأخذ عنه سلام الطويل عَرْضا ، وأخذ عنه الزعفرانى وأبو حاتم السجستانى ، وروح بن عبد المؤمن ، وجماعة وكان من أعلم أهل زمانه بمذاهب النحاة فى القرآن ووجوه الإختلاف فيه ، وكان زاهدا ورعا ناسكاً[2]»

---

(١) السمعانى : الأنساب : ورقة ٢١٢ ليدن سنة ١٩١٢ .

(٢) معجم الأدباء جـ ٢٠ ص ٥٢ .

ويقول أيضا عنه : وصنف يعقوب كتاب الجامع ، ذكر فيه اختلاف وجوه القراءات ونسب كل حرف إلى من قرأ به ، وكتاب وقف التمام ، وغير ذلك ، مات فى جمادى الأولى سنة خمس ومائتين عن ثمان وثمانين سنة(٣)

«وذكر أبو حاتم سهل بن محمد قال : «كان جزئى على يعقوب ، ومنزلتى عنده فيمن يقرأ أن أجلس إلى جنب من يقرأ عليه ، فإذا فرغ أخذت من الموضع الذى يتركه ، فأقرأ عليه . فجئت ذات يوم ، ورجل يقرأ عليه من «سورة البقرة» حتى انتهى إلى قوله ﴿وقال لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾(٤) فابتدأت من هذا المكان ، حتى انتهيت إلى قوله : ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هو والذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾(٥) فَحَصَبَنِى وقال : أَحْسِنْ (أَحْسِنْ) ، فَأَعَدْت الحرف من غير إدغام وقد كنت قرأت عليه الإدغام مرارا كثيرة ، فقلت له : هذا لا يجوز فيه الادغام فقال . لِمَ . وحدثنى غير واحد عن أبى عمرو أنه كان يُدْغِم ؟ فقلت له : أَتَّهِم الرواة ، فإنهم لم يضبطوا عنه . فقال - وحدثنى وأكثر منه . فقلت له : هذا لا يجوز (لأن) بينهما واوا ، وكيف تدغم الحرف فى الحرف وبينهما حرف آخر ! فقال : اقرأ فقرأت .

وكان الأخفش النحوى يجلس خلف أسطوانة يعقوب ، فصرت إلى الأخفش فسَلَّمْتُ عليه ، فقال لى يارأس البغل ، لعنك الله ، تأبى إلا أن تعلم ما يعلم المشايخ ! والله لا قرأ يعقوب إلا كما قلت»(٦)

والنص يكشف عن اقتدار أبى حاتم وتمكنه من مادته ، وثقته واقتداره ويكشف لنا أيضا عن نظام التعليم قديما ، واحترام التلميذ لدوره فى

---

(٣) معجم الأدباء جـ ٢٠ ص ٥٢ .

(٤) سورة البقرة/ ٢٤٧ .

(٥) سورة البقرة/ ٢٤٩

(٦) انباه الرواه جـ ٢ ص ٦٤ .

الدرس . أضف إلى ذلك العلاقة العلمية بين الطالب والأستاذ القائمة على الفهم السليم ومقارعة الحجة بالحجة . أراه اسلوبا تربويا قويما .

وبناءً على ذلك فإن الشيخ يعقوب شهد باقتدار الطالب وتمكنه فأجازه في إقراء النـاس ، قالت المصادر ان أبا حاتم (ختم على يعقوب : «سبع ختمات وقيل خمسا وعشرين ختمة ، فأعطاه خاتمه ، وقال أقرىء الناس»[7]

٢ ـ الأخفش (٢٠٨ هـ)

الأخفش . فهـو أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدة ، مولى لبنى مجاشع بن دارم ، فهو من مشهورى نحوى البصرة ، وهو أحذق أصحاب سيبويه ، وهو أَسَنُّ منه فيما يُرْوى ، ولقى من لقيه سيبويه من العلماء . والطريق إلى سيبويه الأخفش ، وذلك أن كتاب سيبويه لا نعلم أحدا قرأه على سيبويه ولا قرأه عليه سيبويه . ولكنه لما مات سيبويه ، قُرىء الكتاب على أبى الحسن الأخفش ، وكان ممن قرأه أبو عمر الجرمى : صالح بن إسحاق ، وأبو عثمان المازنى : بكر بن محمد وغيرهما)[8]

وكـذلك قرأه أبو حاتم عليه يقول المبرد : قال أبو العباس : وسمعته يقول : قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين»[9]

وقال الزبيدى رواية عن ابن الغازى :

«قال : وروى أبو حاتم علم سيبويه عن الأخفش عن سيبويه عمرو بن عثمان ، قال : وكانت تُقْرأ على أبى حاتم كتب الأخفش ، فكان يرد ردا

---

(٧) انباه الرواه جـ ١ ص ٢٤٨

(٨) أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى : أخبار النحويين البصريين ، تحقيق طه محمد الزينى ، محمد عبد المنعم خفاجى ص ٣٩ ط١/١ القاهرة سنة ١٩٥٥ .

(٩) المرجع السابق ص ٧٠ ، وانباه الرواة جـ ٢ ص ٥٨ .

حسنا . وقال ابن الغازى : ثم رأيتها تُقرأ على أبى الفضل الرياشى ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ! أى ندف كان يندفها ! فإذا الرياشى كان أعلم بها»[١٠]

ويقدم القفطى نموذجا للمحاورات العلمية التى كانت تقوم فى حلقة الدرس سواء أكانت بين الطلاب وأساتذتهم ، أم بين الطلاب بعضهم البعض ، يقول : «وقال أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى : «كنت عند أبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش وعنده التَّوَّزى . فقال لى ياأبا حاتم ، ما صنعت فى كتاب المذكر والمؤنث . قلت قد عملت فى ذلك شيئا ، فقال : فما تقول فى الفردوس ؟ قلت : ذكر فإن الله عز وجل : يقول ﴿الفردوس هم فيهـا خالدون﴾ قال : قلت : ذهب إلى الجنة فأنث . فقال لى التوزى يا غافل أما تسمع قول الناس يقولون : أسألك الفردوس الأعلى ! فقلت له يانائم ، الأعلى ها هنا (أفعل) وليس (بفُعْلى)[١١]

فالعلاقة العلمية القائمة بين الطالب والأستاذ ، علاقة قائمة على الحب ومتابعة الأستاذ لنشاط التلميذ العلمى ، بل سمح بأن يدور الجدال العلمى فى محضره بين طلابه ، على أساس من المناقشة العلمية الهادئة الهادفة . نموذج تربوى قويم يُساق الينا من قديم ! نحن أشد ما نكون حاجة إليه فى عصرنا الحاضر !!

٣ ـ الأصمعى :

ركن أو أساس متين قامت عليه المدرسة البصرية ، إنه الأصمعى ، يقول عنه المبرد : «أسد الشعر والغريب والمعانى ، وكان أبو عبيدة كذلك ، ويفضل على الأصمعى بعلم النسب ، وكان الأصمعى أعلم منه بالنحو .

---

(١٠) طبقات النحويين واللغويين ص ٩٤ .

(١١) أنباه الرواة جـ ٢ ص ٦٣

وهـو عبد الملك بن قُرَيْب ويكنى أبا سعيد واسم قُرَيْب : عاصم ، ويكنى بأبى بكـر بن عبـد الملك بن أصمـع بن مُظَهِّـر بن ربـاح بن عمرو بن عبد الله الباهلى ، وقد هجاه أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي بهذا النسب فى قصيدة أولها :

ألا هَبَـلتْ كُلُّ من ينـتمى	إلى أصمـع أُمُّـه الهـابِلَهْ
فكيف بِمَنْ كان ذا دَعْـوَة	وَكِفَّـةُ نِسبتـه شَائِلَهْ ؟[١٢]

وتحدثت المراجع عن صلاته برجال عصره ومواقفه معهم ، ولكن ماذا عن توثيقه ؟ يقول السيرافى :

«وكان الأصمعى صدوقا فى الحديث : عنده عن ابن عوْن ، وحماد ابن سلمة وحماد بن زيد ، وغيرهم . وعنده القرآن عن أبى عمرو ، ونافع وغيرهما ويتوقَّى تفسير شىء من القرآن والحديث على طريق اللغة»[١٣] بل قدم الدليل على ذلك ، بأنه شديد اللوم لنفسه إذا فسر شيئا من القرآن أو الحديث لتحرجه .

يقـول السيرافى أيضا : حدثنا أبو على الصَّفَّار قال : حدثنا أبو عمرو الصَّفَّار قال حدثنا نصر بن على ، قال : حضرت الأصمعى وقد سأله سائل عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم :

«جاءكم أهل اليمن وهم أبخع نفسا» ، قال : يعنى أقتل أنفسا ، ثم أقبل متقدما على نفسه كاللائم لها ، فقال : ومن أخبرنى بهذا ، وما علمى

---

(١٢) أخبار النحويين البصريين ص ٤٥ ، ص ٤٦ .

(١٣) المرجع السابق ص ٤٧ .

به ؟ فقلت له لا عليك»[١٤] . ولكن هذا هو ابن جنى الذى قدَّم شهادته للتاريخ ، كاشفا فيها عن أمانة علمية للرجل ، ووثقه ، وأثبت تمكنه من علم العربية ، وأنه يتحرى الدقة يقول :

«وهـذا الأصمعى ـ وهـو صَنَّـاجَةُ الرواة والنَّقلة ، وإليه محط الأعباء والثَّقلة ومنـه تجُنى الفِقَـر والمُلَح ، وهو ريحانة كل مغتبق ومصطبح ـ كانت مشيخة القراء وأماثلهم تحضره ـ وهو حدث ـ لأخذ قراءة نافع عنه . ومعلوم (كم قدر ما) حذف من اللغة فلم يثبته ، لأنه لم يقو عنده ، إذ لم يسمعه» إلى أن يقول (. . فأما إسفاف من لا علم له ، وقول من لا مسكة به : إن الأصمعى كان يزيد فى كلام العرب ، ويفعل كذا ، ويقول كذا ، فكلام معفو عنه ، غير معبوء به ، ولا منقوم من مثله ، حتى كأنه لم يتأدَّ إليه توقفه عن تفسـير القـرآن وحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتحوَّبه من الكلام فى الأنواء[١٥]

هذا هو الأصمعى نابغة العرب ، أو شيطان الشعر كما كان يحلو لهارون الـرشيد أن ينـاديه ، ولكن ماذا عن جهود أبى حاتم معه ؟ يقول التاريخ الأدبى إنَّ أبا حاتم السجستانى بصنيعه تجاه تراث الأصمعى ، فقد حفظه وجعله ـ بروايته له يصاول الزمان .

فجاءنا بروايته عن الأصمعى ، شرح ديوان طفيل الغنوى الذى نشره كرنكو فى لندن سنة ١٩٢٧ . جاء فى مقدمته .

قال أبو حاتم : حدثنا الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : كان طفيل الخيل يُسمَّى فى الجاهلية المحبرً يعنى لحُسْن شعره : قال الأصمعى

---

(١٤) المرجع السابق ص ٤٧ ، ص ٤٨ .

(١٥) ابن جنى : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار جـ ٣ ص ٣١١ .

أخذ كل الشعراء من طفيل حتى زهير والنابغة)(١٦)

وكذلك روى له آراءه فى الشعر والشعراء التى جاءت فى كتابه فحوله الشعـراء ، والذى نشره (تورى) ونشر فى القاهرة أخيرا : «وهو فى الحقيقة تقييدات كتبها أبو حاتم السجستانى من أجوبة الأصمعى أستاذه على أسئلة سألها إياه(١٧) وكذلك غيره من السائلين .

ونقدم نموذجا لما جاء فى كتاب فحولة الشعراء للأصمعى :

قال أبو حاتم :

وسـألـه رجل أى الناس طُرًّا أشعر ؟ قال النابغة ، قال : تُقَدِّم عليه أحدا ؟ قال : لا ولا أدركتُ العلماء بالشِّعر يفضلون عليه أحدا .

قلت : فزهير بن أبى سلمى قال :

أختلف فيه وفيهما . . ثم قال : لا . .

ومن الآثار الخالدة للأصمعى وكان أبو حاتم سببا فى خلودها بروايته لها كتـاب (الخيل) . هذا الكتـاب الـذى نشره هافنـر فى مجلة SBWA عام ١٨٩٧ ، معتمـدا مخطوطـة كوبـرلـلى فى الآستـانة ، وهى مخطوطة حديثة ومضـطربـة وقد أقحم النُّسَّاخ عليها بعض الأخبار إضافة لما وقع فيها من إسقاط ثم أعاد نشره الدكتور نورى القيسى فى مجلة كلية الآداب ببغداد سنة ١٩٦٩ ، «واعتمد المخطوطة ذاتها ، وكشف بعلمه وحسه الدقيق عدة من مواضع الاضطراب والنقص والإقحام فى المخطوطة ، وبذل جهدا كبيرا فى صنع الهوامش» .

---

(١٦) ديوان طفيل الغنوى ص ٢ ت/ كونكو ط/ ١ لندن سنة ١٩٢٧ .

(١٧) الأصمعى : فحـولة الشعراء : شرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجى وطه الزينى ص ١٤ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٥٣ .

ويضيف إلى ذلك الأستاذ المحقق هلال ناجى قوله : وحين ظفرنا بمخطوطتنا الدمشقية القديمة الكاملة المكتوبة سنة ٤١٠ هـ برواية الشيخ أبى منصور محمد بن على بن اسحق الكاتب عن السيرافى عن ابن دريد عن السجستانى عن الأصمعى ، وهى رواية لم تنشر قبلا ، وتختلف كثيرا عن النص الذى طبعه هافنر والقيسى .

رأينا ـ خدمة لتراثنا ـ أن نخرج هذه النشرة التى تعتمد أصلا قديما كاملا سليما من النقص والاضطراب والإقحام الذى لحق نسخة كوبرللى .

وجاء فيها :

«قال الأصمعى : كل ذات حافر فأجود وقت حملها أن يحمل عليها بعد نتاجها بسبعة أيام ، وحينئذ تكون فريشا ، والجماع الفرائش ، ويقال : هو أنقى ما تكون الرَّحم وأقبله للنطفة . قال ذو الرمة :

باتت تُقحِّمُها ذو أزمل وَسَقَت　　له الفرائش والقياديد[١٨]

هذا وقام أبو حاتم برواية العديد من آثاره ولكن نكتفى بما قدمنا ، ولو تتبعنا روايته له فى المصادر والمراجع لتضخم هذا البحث جدا ولكنا فيما قدمنا إشارة تشير إلى رصيد موروث حفظته لنا رواية أبى حاتم حيًّا متقلبا فى ضمير الزمن .

٤ ـ أبو زيد الأنصارى :

---

(١٨) الأصمعى : كتاب الحيل : تحقيق هلال ناجى ص ١٧٨ ، ص ١٧٩ ، ص ١٨٥ : المنشور بمجلة المورد العراقية ـ العدد الرابع المجلد الثانى عشر سنة ١٩٨٣ .

علم رابع من أعلام المدرسة البصرية ، نهل أبو حاتم من نبع علمه الفياض هو ابو زيد : سعيد بن أوس الأنصارى ، استاذ أبى حاتم السجستانى ومن الذين خلد اسمه بما حفظ لنا ـ بروايته ـ الكثير من تراثه الأدبى واللغوى بخاصة ، وهو من الذين أثروا فى أبى حاتم بل فى تشكيله العلمى أيضا وتعميق حب اللغة فى نفسه . وقد انعكست آثار ذلك فيما بعد على انتاج أبى حاتم العلمى فكان صاحب القِدْح المعَلىَّ فى علوم اللغة لا يشق له غبار .

بل بلغ من تقدير أبى زيد لابى حاتم أنهم سألوا أبا زيد قبل وفاته :

قال الزبيدى : «ابن الغازى قال : أخبرنى رجل من أهل البصرة قال : قلنا لأبى زيد «عَلىَ مَنْ نقرأ بَعْدَك ؟ قال : على سهل بن محمد ـ يعنى أبا حاتم»[١٩] فهذه تزكية الأستاذ للتلميذ ، وشهادة منه باقتدار تلميذه وتمكّنِه فى مادته .

ويقول المبرد عن أبى زيد : «أبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى صليبة من الخزرج . قال أبو العباس : كان أبو زيد عالما بالنحو ، ولم يكن مثل الخليل وسيبويه . وكان يونس من باب أبى زيد فى العلم باللغات . وكان يونس أعلم من أبى زيد بالنحو . وكان أبو زيد أعلم الثلاثة بالنحو : أعنيه والأصمعى وأبا عبيدة . وكان يقال أبو زيد النحوى . وله كتاب فى تخفيف الهمز ، على مذهب النحو ، وفى كتبه المصنَّفة فى اللغة من شواهد النحو عن العرب ما ليس لغيره ، وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الناس»[٢٠]

---

(١٩) طبقات النحويين واللغويين ص ٩٥ .

(٢٠) أخبار النحويين البصريين ص ٤١ .

وقد ردَّ أبو حاتم الجميل ، بأن حفظ لنا بمروياته آثار أبى زيد اللغوية[21] لأن القفطى يقول : «وكان كثير الرواية عن أبى زيد وأبى عبيدة والأصمعى» .

ولعل أشهر مرويات أبى حاتم عن أبى زيد كتابه (النوادر فى اللغة) : جاء فى مقدمته : «أخبرنا أبو إسحاق ابراهيم بن محمد بن احمد بن بسام قال أخبرنا أبو الحسن على بن سليمان الأخفش . قال أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى قال : أخبرنى التوزى وأبو حاتم السجستانى عن أبى زيد قال وأخبرنى أبو سعيد الحسن بن الحسين البصرى المعروف بالسكرى عن الرياشى وأبى حاتم عن أبى زيد قال أبو سعيد هذا كتاب أبى زيد سعيد ابن أوس بن ثابت مما سمعه من المفضل بن محمد الضَّبِّى ومن العرب . قال ابو حاتم : قال لى أبو زيد ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعى من المفضل بن محمد الضبى ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعى من العرب[22]

أبو عبيدة :

خامس الأساتذة الذين أثروا حصيلته فى اللغة والأدب ، وأيام الناس : أعنى أبا عبيدة معمر بن المثنى التَّيْمىَّ : «تيم قريش ، لا يتم الرَّباب ، وهو مولى لهم ، ويقال : مولى لبنى عُبيد الله بن معمر التَّيْمى .

وحدثنا أبو بكر بن مجاهد قال : حدثنا الكريمى أو أبو العيناء الشَّكُّ من أبى سعيد ، قال : قال رجل لأبى عبيدة : يا أبا عبيدة : قد ذكرت النَّاس ،

---

(٢١) انباه الرواة جـ ٢ ص ٥٨ .

(٢٢) ابو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى : النوادر فى اللغة ، نشر سعيد الشرتونى ص ١ ط/ ٢ بيروت سنة ١٩٦٧ .

وطعنت فى أنسابهم ، فبالله إلا عَرَّفتنى من كان أبوك ؟ وما أصله ؟ فقال حدثنى أبى ، أن أباه كان يهوديا بباجُرْوان»

وكان أبو عبيدة من أعلم الناس بأنساب العرب وبأيامهم ، وله كتب كثيرة فى أيام العرب وحروبها ، مثل مقاتل الفرسان ، وكتبه فى أيام العرب معروفة» .

قال أبو العباس المبرد : «كان أبو عبيدة ، عالما بالشعر والغريب والأخبار والنسب وكان الأصمعى يشركه فى الغريب والشعر والمعانى ، وكان الأصمعى أعلم بالنحو منه»(٢٣)

وأما عن أبى عبيدة فى ميزان النقد فقالوا : «كان أبو عبيدة إذا أنشد بيتا لا يقيم وزنه»(٢٤)

ويقول أبو حاتم عنه : «وكان مع علمه إذا قرأ البيت لم يُقم إعرابه ، وينشده مختلف العَروض»(٢٥)

ولعل هذا يفسر لنا سر تقريب هارون الرشيد للأصمعى واستبعاد أبى عبيدة .

يقول السيرافى : «وحمل أبو عبيدة والأصمعى إلى الرشيد ، فاختار الأصمعى لمجالسته لأنه كان أحسن منشأ منه ، وأصلح لمجالسة الملوك(٢٦)

---

(٢٣) أخبار النحويين البصريين : ص ٥٢ ، ص ٥٣ .
(٢٤) أنباه الرواة : جـ ٣ ص ٢٧٧ .
(٢٥) انباه الرواة : جـ ٣ ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٠
(٢٦) أخبار النحويين البصريين ص ٥٤

ومن يرجع إلى المصادر القديمة يجدها حافلة بمرويات أبى حاتم عن أبى عبيدة وهى كثيرة تجل عن الحصر منها روايته (كتاب الخيل) له ، ومنها أيضا ما جاء فى الموشح للمرزبانى .

«وأخبرنا ابن دريد : قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبى عبيدة ، قال : لما أنشد الأخطل عبد الملك :

خَفَّ القطين فراحوا منك أو بكروا

قال عبد الملك : بل منك إن شاء الله ـ تطيرا[27]

(٢٧) أبو عبد الله المرزبانى : الموشح ت/ على محمد البجاوى ص ٣٧٤ ، ص ٣٧٥ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٦٥ .

الباب الأول

الفصل الثالث

معاصروه

معاصروه :

أمـا عن معـاصريه ونـظرائه ، فهم كثرة : فمنهم على سبيل المثال لا الحصر : أبـو عمـر الجـرمى : صالـح بن إسحاق ، وأبو عثمان المازنى : بكر بن محمد والرياشى ، والتوزى ، والزيادى .

١ ـ الجرمى :

«هو أبو عمر : صالح بن اسحاق ، وهو مولى لجرم بن رَبَّان ، وجَرْم : من قبائل اليمن . قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : هو مولى لبجيلة ابن أنـمار بن إران بن الغوث قال ابو العباس كان أبو عمر الجرمى أغوص على الاستخـراج من المـازنى وكان المازنى أحَدَّ منه . وأخذ أبو عمر النحو عن الأخفش وغيره ، وقرأ كتاب سيبويه على الأخفش ، ولقى يونس بن حبيب ، ولم يلق سيبويه ، وأخذ اللغة عن أبى عبيدة وأبى زيد والأصمعى وطبقتهم ، وكان ذا دين وإخاء وورع ، وقد روى عن محدثى أهل البصرة [١]

٢ ـ المازنى :

أبو عثمان المازنى : بكر بن محمد من بنى مازن بن شيبان بن ذُهل ابن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . ويقول القفطى .

«وكان اذا التقى هو والمازنى فى دار عيسى بن جعفر الهاشمى تشاغل أو بادر خوفا من أن يسأله المازنى عن النحو[٢]

---

(١) أخبار النحويين البصريين ص ٥٥ ، ص ٥٦ .

(٢) انباه الرواة جـ ٢ ص ٥٩ .

٣ - التوزى :

واسمه عبد الله بن محمد ، مولى لقريش ، وقال أبو العباس : كنا ندعوه أبا محمد القرشى وقرأ التوزى كتاب سيبويه على أبى عمر الجرمى . قال أبو العباس : وما رأيت أحدا أعلم بالشعر من أبى محمد التوزى ، كان أعلم من الرياشى والمازنى وأكثرهم رواية عن أبى عبيدة وقد قرأ على الأصمعى وغيره» .

ويحدثنا المبرد عن جهود رجال المدرسة البصرية فى التحرى والتدقيق فيما يروونه عن شيوخهم لشعراء العرب ، وأنهم يحاولون جهدهم أن يصلوا إلى أقرب المصادر وأوثقها بالشاعر ، فهذا هو التوزى يصحح مروياته الشعرية عن أبى عبيدة ، والتى رواها لجرير على حفيده (عمارة بن عقيل بن بلال ابن جرير) والذى يُوقف التوزى على الرواية الصحيحة لهذا الشعر . نرى السيرافى يقول : «وحدثنا أبو على الصفار ، قال محمد بن يزيد ابو العباس : قرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، لأبى محمد التوزى ، كلمة جرير التى أولها :

طرب الحمام بذى الأراك فشاقنى لازلت فى فنن وأيك ناضِر !

حتى صرتُ إلى قوله :

أما الفؤاد فلن يزال مُؤَمِّلا يهَوَى جُمَانَة أو برَيَّا العَاقِرِ !

فقال له التوزى ما هما ؟ فقال عمارة (بن عقيل) ما يقول صاحبكم ؟ يعنى أبا عبيدة . فقال التوزى : قال هما امرأتان : فضحك عمارة ! ثم قال : هما والله ـ رملتان تمتدان (ب) بيتى ، من عن يمينه وعن شماله . فقال التوزى : اكتب ، فاستكبرت ما قال ، إجلالا لأبى عبيدة ، فقال لى اكتب ، فإن أبا عبيدة لو حضر هذا لأخذ هذا الضرب عنه ، هذا بيت

الرجل[3]

٤ ـ الزِّيادي :

علم آخر من معاصريه : «هو أبو اسحاق ابراهيم بن سفيان بن أبى بكر عبد الرحمن بن زياد .

روى المبرد أنه روى عن الأصمعى ومنها قوله : «قال : وقرأت عليه يوما هذا البيت .

أغنيتُ شأنى فأغنوا اليومَ شأنكم
واستحمقوا فى لقاء الحرب أو كيسوا

(فصَحَّفْ فقلت : أغنيت شاتى . فقال الأصمعى : فأغنوا اليوم تيسكم)[4]

وهذا النص نسب لأبى حاتم أيضا .

٥ ـ الرياشى :

«هو أبو الفضل عباس بن الفرج ، مولى محمد بن سليمان بن على المجاشعى . ورياش . رجل من جُذَام ، كان أبو العباس عبدا له ، فبقى عليه نسبه إلى رياش .

وكان عالما باللغة والشعر . كثير الرواية عن الأصمعى ، وروى أيضا عن غيره ، وقد أخذ عنه أبو العباس محمد بن يزيد ، وأبو بكر بن دريد»[5]

---

(٣) أخبار النحويين البصريين ص ٦٥ ، ص ٦٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٦٧ .

(٥) المرجع السابق ص ٦٨ .

فهذه الجامعة المتخصصة المتنوعة فى تخصصاتها ، والتى حملت الينا تراث رجال المدرسة البصرية . قد حفظت لنا هذا التراث ، وجددت فى شباب هذه المدرسة ، وكانوا همزة الوصل بين مدرسة الشيوخ الثقات ونوابغ المدرسة البصرية وطلابها العظام كالمبرد وابن دريد وغيرهم .

٦ ـ الاشناندانى :

أبـو عثمان الاشناندانى : سعيد بن هارون كان نحويا لغويا من أئمة اللغة ، أخذ عنه ابن دريد .

قال ابن دريد عن تمكنه اللغوى واقتداره :

«قال : سألت أبا حاتم السجستانى عن اشتقاق ثادق اسمُ فرس فقال لا أدرى : وسألت الرياشى فقال : يامعشر الصبيان إنكم تنعمون بالعلم ـ وقال : سألت أبا عثمان الاشناندانى فقال : هو من ثَدِق المطر بالسحاب : إذا خرج خروجا سريعا نحو الوَدْق .

وحكى ابن دريد أيضا قال : سألت أبا حاتم السجستانى عن قول الشاعر :

وجقَّر الفحلُ فاضحى قدْ هَجَفْ واصْفَرَّ ما اخْضرَّ من البقل وَجَفْ

فقلت مَا هَجَفَ ؟ فقال لا أدرى ، فسألت الأشْناندانى فقال : هجف إذا التحقت خاصرتـاه من التَّعَب وغيره . وله من التصانيف كتاب معانى الشعر يرويه عنه ابن دريد . وكتاب الأبيات وغير ذلك(٦)

وليس معنى ذلك انتقاص مكانة أبى حاتم اللغوية ، فكثيرا ما تغيب عن الذاكرة المستوعبة أمور . ويكفى أنه صادق فى رده فقال (لا أدرى) .

(٦) معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٣١

الفصل الرابع

تلاميذه

أ - تلاميذه :

١ - المبرد :

واحد من أنبغ تلاميذه ، كان وسيما جميلا ذكيا أريبا حلو الحديث جميل الشكل ، مضرب المثل ذكاء وجمالا وخفة روح . التقى فى المسجد الجامع بالشيخ العبقرى نابغة عصره أبى حاتم السجستانى ، هذا الطفل المعجزة هو أبو العباس محمد بن يزيد ابن البصرة وهدية القدر السعيد إليها .

ولكن لأمر ما هجر المبرد الفتى الأزدى حلقة أبى حاتم نعم سبق أن تكلمنا عن قصة ذلك فى أخبار أبى حاتم ، ولكن الأسباب الحقيقية يقولها المبرد محكية على لسان السيرافى :

قال : (قال ابو العباس المبرد جئت السجستانى وأنا حدث ، فرأيت منه بعض ما ينبغى أن تهجر حلقته له . فتركته مُدَّة ، ثم صرت إليه فَعَمَّيتْ له بيتا لهارون الرشيد : وكان يجيد استخراج المعمَّى فأجابنى :

أيا حسن الوجه قد جئتنا	بداهية عجب فى رجب
فَعَمَّيْتَ بيتا وأخفيته	فلم يخف بل لاح مثلَ الشهب
فأظهر مكنونه الطِّيطوى[1]	وهتَّك عنه الحمامُ الحُجب
فذلَّل ما كان مستصعبا	لنا فتناولته من كثبْ
أيا من إذا ما دنونا له	نأى وإذا ما نأينا اقتربْ

---

(١) ضرب من الطير

عذرنــاك إذْ كنـت مسـتحسنــا وبيتــك ذو الــطير بيت عَجَبْ
سلام على الــنــازح المغــترب تحيَّة صَبٍّ به مكـتـئـبْ[2]

فهــذا النص يكشف عن شخصية أبى حاتم السجستـانى العـاشق الفنـان ، فهـو إنسان محب للجمال وللفن ، بدليل قول المبرد : وكان يجيد استخراج المعمى ، أى أنه قادر على الغوص لاستخراج الجوهر . وسبق لنا أن عالجنا هذه القضية لما تعرضنا لأخبار أبى حاتم .

ولكن لاحـظت ملحـظا لم يتنبـه له سائـر الذين كتبوا عن المبرد قديما وحديثا ، ولم يفتشوا فى آثاره عن دور أبى حاتم فيها .

وجدت أن المبرد لم يستشهد بأبى حاتم فى كتابه «الكامل» إلا فى ثلاثة مواضع[3] ، علما بأن الكامل من أهم كتبه وأسيرها فى ضمير الزمن وأبقاها وأخلدها على مر العصور .

ولم يذكره فى المقتضب[4] ، لاحتمال أن تكون المادة فيه نحو وليس ذلك مما يدور فى فلك أبى حاتم . وكذا فى المذكر والمؤنث[5] ، وفى البلاغة[6] وإذا عدنـا إلى الفـاضـل[7] للمبرد ، وهو فى صميمه أدب . نراه لم يذكره وذكر الأصمعى ، وأبا عبيدة ، والمازنى ، والجرمى ، والتوزى ، والرياشى .. الخ

---

(٢) أخبار النحويين البصريين .

(٣) الكامل للمبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٥٦ .

(٤) ذكره فى الكامل فى جـ ١ ص٥٣ ، ٢١٦ ، جـ ٢ ص ١٨٠

(٥) المبرد : المقتضب : تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ط/ ١ القاهرة سنة ١٣٨٨ هـ

(٦) المبرد : المذكر والمؤنث : تحقيق د . رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادى ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٧٠

(٧) المبرد : البلاغة : تحقيق د . رمضان عبد التواب ط/ ١ القاهرة . ١٩٦٥.

فهل يرجع ذلك إلى عزوفه عنه لسابقة ما حدث بينهما ؟

٢ ـ ابن دريد :

من تلاميذه الذين رووا عنه الكثير وخير شاهد على ما أقول نقوله الكثيرة عنه فى كتبه ولعل أخطرها كتابه الجمهرة ففيه الكثير من آرائه فى الأدب واللغة .

هذا التلميذ هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، «وكان أعلم الناس فى زمانه باللغة والشعر وأيام العرب ، وأنسابها ، وله أوضاع جمّة»(٨)

وكان يقال هو أعلم الشعراء وأشعر العلماء ، وقيل كان يقرأ عليه دواوين العرب كلها فأكثر ما يسابق إلى اتمامها وحفظها»

وقال جحظة يرثيه :

فقدتُ بابن دريدٍ كل فائدة
لمّا غَدا ثالث الأحجار والتُّرب

وكنت أبكى لفقدِ الجود مُنفردًا
فصرْت أبكى لِفَقدِ الجُودِ والأدب(٩)

وقال عنه ابو منصور الأزهرى فى مقدمة كتاب التهذيب :

وممن ألف فى زماننا الكتب فَرُمِىَ بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وادخال ما ليس من كلام العرب فى كلامها أبو بكر محمد بن دريد ، صاحب كتاب الجمهرة ، وكتاب اشتقاق الأسماء وكتاب الملاحن ، وقد حضرته فى داره

---

(٨) الأنساب للسمعانى الورقة ٢٢٦

(٩) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٣١

ببغداد غير مرة فرأيته يروى عن أبى حاتم والرياشى وعبد الرحمن ابن اخى الأصمعى وسألت ابراهيم بن محمد بن عرفة عنه فلم يعبأ به ولم يوثقه فى روايته »

٣ - ابن قتيبة :

من تلاميذه الأوفياء الذين ضمنوا آثارهم الكثير والكثير من آراء الشيخ أبى حاتم ، خاصة المعانى الكبير . ووقفت متسائلا عن سر هذه الألفة وابن قتيبة كوفى ويمثل التقاء المدرستين البصرية والكوفية فهل يرجع ذلك إلى أن ابن قتيبة من أهل الغيرة والمنافح عن الحديث وأهله ؟ .

وأجيب فأقول - لم يذكر سر هذه العلاقة أحد من الذين كتبوا عن ابن قتيبة من قبلُ . لأننى وجدت إشارة فى مراتب النحويين لأبى على اللغوى تلقى ضوءا كاشفا عن سر هذه العلاقة . يقول أبو على : فى أخبار أبى حاتم :

«وزعموا أنه كان يظهر العصبية مع أصحاب الحديث ، ويضمر القول بالعَدْل ، فأخبرنا جعفر بن محمد قال : أخبرنا الحنفى قال : كنا عند أبى حاتم ، فجاءه رجل من أصحاب الحديث ، فقال له : يا أبا حاتم إنى سائلك عن ثلاث ، وجاعل جوابك على طبق أدور به على أصحاب الحديث . فقال : هاتِ ، قال : ما معنى قول الله جَلَّ وعز :

﴿إلَّا إبْليسَ أَبَىَ﴾[10][11] وما الإباء فى كلام العرب ؟ قال : القدرة على الشيء والتَّرْك له من غير عجز ، قال : وما معنى قوله : ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا ناظِرَةٌ﴾[12]

---

(١٠) طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٤

(١١) البقرة ٣٤ ، الحجر ٣١ ، طه ١١٦ .

(١٢) القيامة ٢٢ ، ٢٣

هل يكون الناظر فى كلام العرب بغير معنى الرَّائى ؟ قال : نعم يكون بمعنى الانتظار أما سمعت قوله تعالى : ﴿فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾[13]

٤ محمد بن هارون الطبرى :

روى الحروف عن أبى حاتم السجستانى ، وروى عنه الحروف محمد بن الحسن النقاش[14]

٥ ـ الحسن بن الحسن بن عبد الله العتكى :

المعروف بالسكرى ، أبو سعيد النحوى اللغوى الراوية الثقة ، سمع يحيى بن معين ، وأبا حاتم السجستانى ، والرياش ، وخلقا ، وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التاريخى توفى سنة ٢٧٥[15]

٦ ـ إبراهيم عبد الوهاب الابزارى الطبرى :

صاحب أبى حاتم السجستانى ، وكان يكتب خطا حسنا صحيحا ، ينافس فى تحصيله الرَّغبة فى الأدب .

٧ ـ يموت بن المزرَّع بن موسى بن سَيَّار :

العبدى من عَبد قيس ، أبو عبد الله وأبو بكر البصرى ابن أخت أبى عثمان الجاحظ نحوى أديب ، رواية ذكره الزبيدى فى نحاة مصر أخذ عن أبى عثمان المازنى وأبى حاتم السجستانى ، وعبد الرحمن ابن أخى الأصمعى ،

---

(١٣) سورة البقرة/ ٢٨٠ ، ومراتب النحويين ص ٨١ ، ص ٨٢ .

(١٤) طبقات ابن الجزرى ٢/ ٢٧٣ .

(١٥) ينظر فى أخباره معجم الأدباء لياموت جـ ٨ ص ٩٤ ، أنباه الرواة جـ ١ ص ٢٩١

ونصر بن على الجهضمى[16]

٨ - **شمر بن حمْدَويه :**

أبـو عَمرْو الهروى : كان عالما فاضلا ثقة نحويا لغويا راوية للأخبار والأشعـار رحـل فى شبيبته إلى العراق وأخذ عن ابن الأعرابى والأصمعى وسلمة بن عاصم والفرَّاء وأبى حاتم السجستانى ، وأبى زيد الأنصارى ، وأبى عبيدة ، والرياشى وغيرهم .

ثم رجـع إلى خراسان ، وأخذ عن أصحاب النَّضر بن شُميل والليث وصنَّف كتابا كبيرا رتبه على المعجم ابتدأ فيه بحرف الجيم لم يُسْبق إلى مثله أودعه تفسير القرآن وغريب الحديث وكان ضنيا به ، فلم ينسخه أحد وخزنه بعد وفاته بعض أقاربه فلم ينتفع به - وقيل : اتصل أبو عمرو بيعقوب بن الليث الأمير ، فخرج معه إلى نواحى فارس وحمل معه كتاب الجيم فطغى الماء من النهّروان على عسكر يعقوب فَغَرقَ الكتاب فيما غرق من المتاع . ولأبى عمرو من التصانيف غير كتاب الجيَم : كتاب غريب الحديث كبير جدا ، وكتاب السلاح وكتاب الجبال والأودية وغير ذلك ، مات سنة خمس وخمسين ومائتين»[17]

ب - الطلاب الذين وفدوا عليه :

١ - ثعلب :

جاء فى معجم الأدبـاء (عن أبى عبـد الله الحكيمى ، عن يموت بن المزرَّع قال : وأراد أبو العباس ثعلب أن يرحل إلى أبى حاتم السجستانى فى

---

(١٦) معجم الأدباء جـ ٢٠/ ٥٧ ، انباه الرواة جـ ٤ ص ٧٤

(١٧) معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٧٤ .

البصرة ، فغلبه أن أبا حاتم انتشر ذكره يوما ، لما رأى جماعة المرد يكتبون فى مجلسه ، فرآه غلام منهم ، فقال له : أصلحك الله - أى لام هذه ؟ قال : لامُ كى يا بُنىَّ ، فلم يخرج ابو العباس اليه»(١٨)

٢ - الطبرى :

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى :

قال أبو جعفر : جئت إلى أبى حاتم السجستانى وكان عنده حديث عن الأصمعى عن أبى زائدة عن الشعبى فى القياس فسألته عنه فحدثنى به .

وقال لى أبو حاتم : من أى بلد أنت ؟ فقلت من طبرستان . فقال : وَلِمَ سُمِّيتْ طبرستـان ؟ فقلت لا أدرى . فقال لما افتتحت وابتدىء ببنائها كانت أرضا ذات شجر فالتمسوا ما يقطعون به الشجر ، فجاؤهم بهذا الطَّبر الذى يُقطع به الشجر فَسمَّى الموضع به»(١٩)

---

(١٨) معجم الأدباء ، جـ ٥ ص ١٢٣ .

(١٩) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٨ .

الباب الثانى

آثاره

الفصل الأول

دوران آثاره فى مصنفات الأقدمين

آثار أبى حاتم فى مصنفات المؤلفين القدامى :

١ ـ كتب القدامى فى مصنفاتهم ترجمة لأبى حاتم السجستانى ، ضمُنوها آثاره الفكرية فمنها ما ضاع فى ضمير الزمن ولا نعلم عنه شيئا ، ومنها المفقود ولكن له بقايا فى مصنفات الأقدمين ، ومنها كذلك آراء له متنوعة فى الأدب واللغة والنحو والتاريخ نراها مبثوثة فى المصنفات المشار اليها ، ومنها ما أفلت من قبضة الضياع . وسنشير إلى كل فى موضعه .

ونعرِّج على المصادر التى جاء فيها ذكر كتبه منها الفهرست [١] ، وفهرست ما رواه ابن خير عن شيوخه [٢] كما جاء ذكر هذه الكتب ضمن ترجمته فى : وفيات الأعيان لابن خلكـان ، وانباه الرواة ، وبغية الوعاة ، والتهذيب لابن حجر ، ونجدها أيضا مفصلة فى هَدِّية العارفين ، وكشف الظنون وغيرها .

ورأيت أنَّ الحصر الـوارد فى هدية العارفين فى أسماء المؤلفين [٢] ، يحتمل أن يكون أوفى من حيث الاستقصاء والتتبع والإيراد لهذه الآثار ، جاء فيه الآتى :

---

(١) الفهرست صـ ٩٢ ، ص ٩٣ ، فهرت ابن خير صـ ٤٧٩ ، صـ ٤٨٨ ، صـ ٥٠٤ ، صـ ٥٠٨ ، صـ ٥١٠ ، ٣٤٨ .

(٢) اسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين حـ ١ صـ ٤١١ ط/ ١ استامبول سنة ١٩٥٥ وينظر كذلك .

حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : صـ ٣٣ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١١٨٩ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٦ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٩ ، ١٥٧٧ ، ١٧٨١ . ط/ ١ استـامبول ١٣٦٠ هـ .

، اسماعيل باشا البغدادى : ايضاح المكنون على كشف الظنون حـ ٢ صـ ٢٦٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٢٢ ، ٣٤٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ط/ ١ استامبول سنة ١٣٦٤ هـ .

١ ـ كتاب إختلاف المصاحف .
٢ ـ كتاب إعراب القرآن .
٣ ـ كتاب خلق الانسان .
٤ ـ كتاب الإبل .
٥ ـ كتاب الاتباع .
٦ ـ كتاب الأضداد فى اللغة .
٧ ـ كتاب الجراد .
٨ ـ كتاب الحر والبرد والشمس .
٩ ـ كتاب الخصب والقحط .
١٠ ـ كتاب الدرع .
١١ ـ كتاب الزرع .
١٢ ـ كتاب الزينة [1] .
١٣ ـ كتاب السيوف والرماح .
١٤ ـ كتاب الشتاء والصيف .
١٥ ـ كتاب الشوق إلى الوطن .

---

(١) هذا الكتاب نسبه ابن النديم فى الفهرست لأبى حاتم الرازى قال صـ ٢٨٢ : (. . . . وله من الكتب كتاب الزينة كبير نحو أربع مائة ورقة ، وكتاب الجامع فيه فقه وغير ذلك) .

وقال بروكلمان عنه فى تاريخ الأدب العربى حـ ٣ صـ ٣٥٢ : « كتاب الزينة ، صنفه بعد سنة ٣٢٢ هـ سنة ٩٣٤ م وقدَّمه إلى : القائم عقب استلائه على الحكم ، وهو يبدأ ببحث الحروب ، ثم ببحث فى اسماء الله ويتناول ذكر الفرق) .

ونسبه لأبى حاتم السجستانى : الصغانى فى العباب . وهو لأبى حاتم الرازى (ت ٣٣٢ هـ) واسمه الزينة فى الكلمات الإسلامية ، وجاء فى الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى (ت / محمد أبو الفضل ابراهيم حـ ٢ صـ ١٣٤ ، حـ ٢ صـ ١٦٩ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٧٤ : إشارة إلى كتاب الزينة لأبى حاتم دون تحديد هل هو أبو حاتم السجستانى أمْ أبو حاتم الرازى ، والنص فيه كالآتى :
حـ ٢ صـ ١٣٤ : (سِجِّين : ذكر أبو حاتم فى كتابه الزينة أنه غير عربى .
حـ ٢ صـ ١٦٩ : (عن أحد : قال ابو حاتم فى كتاب الزينة : هو أسم أكمل من الواحد ، ألا ترى أنَّك إذا قلت فلان لا يقوم له واحد ، جاز فى المعنى أن يقوم اثنان فأكثر بخلاف قولك : لا يقوم له أحد)

١٦ - كتاب الطير .
١٧ - كتاب العشب والبقل .
١٨ - كتاب الغيث .
١٩ - كتاب الفرس .
٢٠ - كتاب فرق الآدميين وذوات الأربع .
٢١ - كتاب الفصاحة .
٢٢ - كتاب القراءات .
٢٣ - كتاب القِسِيِّ والسهَام والنبال .
٢٤ - كتاب الكرم .
٢٥ - كتاب اللبن والحليب .
٢٦ - كتاب المذكر والمؤنث .
٢٧ - كتاب المقاطع والمبادىء [١] .
٢٨ - كتاب المقصور والممدود .
٢٩ - كتاب المياه [٢] .
٣٠ - كتاب النبات والشجر .
٣١ - كتاب النحل والعسل .
٣٢ - كتاب النخلة .
٣٣ - كتاب الوحوش .
٣٤ - كتاب الهجاء .
٣٥ - كتاب ما تلحن فيه العامة .

هذا الحصر هو الذى ارتآه البغدادى فى هدية العارفين ، وأشار (ب . ليون) فى دائرة المعارف الإسلامية فى ترجمة أبى حاتم السجستانى بقوله (ويذكر كتاب

(١) ويقول عنه بروكلمان (تاريخ الأدب العربى حـ ٢ صـ ١٦١ : وصنَّف كاتب يدعى أبا العباس . كتابا للرَّدِّ على أبى حاتم : فى كتابه المقاطع والمبادىء فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، ومنه مخطوط فى المتحف البريطانى أول ١٥٨٩)

(٢) نسبة إليه البغدادى فى هدية العارفين ولم يشر إليه غيره من المتقدمين حـ ١ صـ ٤١١ .

سيرته عناوين سبعة وثلاثين مصنفا أحصاها (A. Haffinar)[٢]

وأرى أن الفارق بين حصر البغدادى وحصر هفنر فى حدود كتابين ويحتمل أن يكونا : (كتاب فعلت وأفعلت ، وكتاب والمعمرين والوصايا) .

وأعـود فأقـول إن هذه الكتب فى حكم المفقودة ولم تفلت من قبضة الضياع ـ حسبما تناهى إلى علمى ـ لا يتجاوز خمسة كتب . وبيانها

١ ـ الأضـــداد[٢] ، فعـلت وأفـعـلت[٢] ، والمعمـــرون والــوصــايا[٣] ، والنخلة[٤] ، والمذكر والمؤنث[٦] .

ولكن هناك كتب له لم تطبع ولم تتضمنها قائمة هذه الكتب الذى سردت مؤلفاته ضمن ترجمة حياته ، فمن هذه الكتب ما أشار اليه رودلف زلهايم لما تعرَّض لكتاب الأمثال عند البكرى قال إن هناك كتابا لأبى حاتم السجستانى (جماهير العرب) بخط ابن قتيبة : هو غير معروف[٧]

ومنها كتاب العظمة :

والذى أشار اليه النويرى فى نهاية الأرب (حـ١ صـ ٣٢ ، ٢١٨) قد جاء فى نهاية الأرب باقتباس منه ولكن قبل أنْ آتى بنص نهاية الأرب أردت أن اتثبت خشية أن يكون هذا الكتاب منسوبا لأبى حاتم الرازى . ولكن لما رجعت الى الفهرست لابن النديم فى أخبار أبى حاتم الرازى صـ ٢٨٢) لم يذكر ضمن مؤلفاته كتاب

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية حـ ٦ صـ ٤٤٤

(٢) نشره أوجست هفنر ضمن ثلاثة كتب فى الأضداد للأصمعى وأبى حاتم السجستانى وابن السكيت باسم (المقلوب والمزال عن جهته والأضداد) بيروت سنة ١٩١٢ .

(٣) نشره د/ خليل إبراهيم العطية ـ جامعة البصرة سنة ١٩٧٩ .

(٤) نشره عبد المنعم عامر فى القاهرة سنة ١٩٦١

(٥) النخلة طبعه المستشرق الايطالى برتليمو لاجومينا فى بالرمو بصقلية سنة ١٨٧٣ مع تعليقات باللغة الإيطالية .

(٦) حققه د/ نهاد جتن وجارى نشره بتركيا .

(٧) رودلف زلهايم : الأمثال العربية القديمة ، ترجمة د/ رمضان عبد التواب صـ ١٤٣ ط / ٢ بيروت سنة ١٩٨٢

(العظمة) ، وعدت كذلك الى فهرست ما رواه ابن خير عن شيوخه فلم أجد أية إشارة إلى كتاب بهذا الاسم منسوبا إلى أبى حاتم سواء أكان السجستانى أم الرازى .

وجاء في نهاية الأرب قوله : وَرُوى أن أبا ذر (رضى الله عنه) قال : يا رسول الله أىُّ آيَةٍ أُنزلت عليك أعظم ؟ قال : آية الكرسىّ . ثم قال : يا أبا ذَرّ ! أتدرى ما الكرسىّ ؟ قلت : لا ؛ فَعَلِّمْنى يا رسولَ الله ، مما علّمك الله . فقال : ما السموات والأرض وما فيهن فى الكرسى إلا كحلقة ألقاها مُلْقٍ فى فلاةٍ . وما الكرسى فى العرش ، إلا كحلقة ألقاها مُلْقٍ فى فلاةٍ وما العرش فى الماء ، إلا كحلقة ألقاها مُلْقٍ فى فلاةٍ ، وما الماء فى الريح ، إلا كحَلْقَةٍ ألقاها مُلْقٍ فى فلاةٍ . وجميع ذلك فى قبضة الله كالحبَّة ، وأصغر من الحبَّة فى كفِّ أحدكم . تعالى الله سبحانه . « رواه أبو حاتم فى كتاب العظمة [1] » .

ومنها كذلك كتابٍ الشواذ فى القراءات :

يقول عنه ابن جِنى فى المُحْتَسَبَ :

(.. فأما ما رويناه فى ذلك فكتاب أبى حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستانى (رحمه الله) أخبرنا به أبو اسحق ابراهيم بن أحمد القرميسينى عن أبى بكر محمد بن هارون الرُّويانى عن أبى حاتم وروينا أيضا فى كتاب أبى على محمد ابن المستنير قُطرب من هذه الشواذ صدرا كبيرا . غير أن كتاب أبى حاتم أجمع من كتاب قطرب ؛ من حيث كان مقصورا على ذكر القراءات ، عاريا من الإسهاب فى التعليل والإستشهادات التى انحطَّ قطرب فيها ، وتناهى إلى متباعد غاياتها [2] . . . . » .

٢ ـ بيان عن دوران آثار من كتبه فى مصنفات الأقدمين :

فى هذا القسم نورد آثارا من كتبه المفقودة أشارت اليها مؤلفات المصنِّفين

---

(١) نهاية الأرب للنويرى حـ ١ صـ ٣٢ .

(٢) ابن حنى : المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها :
تحقيق على النجدى ناصف وآخرين حـ ١ صـ ١٤ ط/ ١ القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ .

القدامى منها :

أ ـ ما يدور فى مجال الانسانيات :

ما وضع حول الطبيعة :

له خمسة كتب : الأزمنة ، والشتاء ، والصيف ، والحر ، والبرد ، والليل ، والنهار ، والشمس ، والقمر [1] ونرى أن انباه الرواة للقفطى جعل الثلاثة الأخيرة كتابا واحدا . فقال ؛ كتاب الحر والبرد ، والشمس والقمر ، والليل والنهار .

وأقتبس من الشمس والقمر ابن منظور فى اللسان [2] ، وأقتبس من الليل والنهار السيوطى فى المزهر [3] . وتكلم كذلك المرزوقى عن الليل والنهار ، والشمس والقمر . فى الأزمنة والأمكنة [4] .

وسنقدم مقتطفات من بعضها :

١ ـ قال ابن سيده فى المخصص عن كتب الأنواء . (١١/١) .

(. . وككتب أبى حاتم فى الأزمنة وفى الحشرات وفى الطير . .)

وأما عن الليل والنهار .

يقول السيوطى (فى المزهر حـ ٢ صـ ٣٣٠) قال أبو حاتم السجستانى فى كتاب الليل والنهار :

سمعت الأصمعى مرة يتحدث فقال : فى حَمَرَّةِ الشتاءِ ، فسألته بعد ذلك هل يقال : حَمَرَّة الشتاء . فَجَبُنَ عن ذلك . وقال : حَمَرَّة القيظ) .

وأما عن كتاب الشمس والقمر :

يقول ابن منظور فى لسان العرب (٣/ ٤٨٠) عن الخلاف الذى دار بين علماء اللغة هل يوح والتى هى اسم للشمس ، يُكتب بالياء أم بالباء ؟ فنراه يقول بعد أن سرد الخلاف (. . . ثم أخرجنا كتاب الشمس والقمر لأبى حاتم السجستانى

---

(١) ينظر الفهرست صـ ٩٣ ، والمخصص ١/ ١١ ، وابناه الرواة حـ ٢ صـ ٦٢ .

(٢) اللسان حـ ٣ / ٤٨٠ . بولاق

(٣) السويطى : المذهر : تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرين حـ ٢ صـ ٢٤٨ ، صـ ٣٣٠ ط/ ٤ القاهرة سنة ١٩٥٨

(٤) أبو على المرزوقى الأصفهانى : الأزمنة والأمكنة : حـ ٢ صـ ١٥ ط/ ١ حيدر آباد الدكن سنة ١٣٣٢ هـ

فإذا هو يوح بالياء المعجمة باثنتين) .

وجاء فى المزهر : « وقال أبو حاتم السجستانى فى كتاب الليل والنهار »

« قال أبـو زيد : يقـولون : الهلال لأول ليلة ، رُضَاع سُخَيْلَه ، يحُلّ أهلها برُمَيْلة ، ولابن ليلتين ، حديث أَمَتين ، بكذب وَمَينْ ، ولابن ثلاث : حديث فَتيات ، غير جد مؤتلفات . ولابن أرْبع : عَتَمة رُبَع غير حبلى ولا مرضع .

وقال بعضهم : عتمة امّ رُبَع . ولابن خَـمْس : عَشاء خَلفات قُعْس . وزعم غير أبى زيد ، أنه يقال لابن خمس : حَديث وأنس . وقال أبو زيد : ابن سِتْ ، سرْوَبتْ ولابن سبع : دُلجُة الضَّبْع . وقال غيره : هُدَى لأنسْ ذى الجَمع . ولابن هُدَىَ لأنْس ذى الجمع ثَمانَ : قمر أضحيان . ولابن تسع : انقطع الشِّسْع . وقال غيره : مُلْتَقط الجزع

قال أبو زيد : ولابن عَشرْ ، ثلث الشهر . وقال غيره : مُـحْتِق للفجر [1] . . . »

وجاء فى الأزمنة والأمكنة :

« الضَّحُّ : الشمس : يقال لا تجلسوا فى الضَّحّ أى فى الشمس ، وقد ضحى فلان فى الضح أى برز للشمس يضحى ضحوا . ويقال شد ما ضحوت للشمس أى طال بروزك لها ، ويقال ضحى الريح وضحى لى إذا خرج من بيته فبرز ذلك . قال ابو حاتم : لا تثبت ضحيت للشمس وليس فى قوله تعالى : « وإنك لا تظمأ فيهـا ولا تضحى » بيان ضحيت من ضحوت لأن قوله تضحى يجوز أن يكون مستقبل ضحا . وقد قال قائل .

ضحــيت له كى اســتــظل بظله ... إذا الـظل أضحى فى القيامـة قالصا

فقال أبو حاتم :

الذى يقول هذا لا يجوز قوله قمةَ رأية ، ومن كلامهم جاء بالضَّحِّ والريح أى جاء بالشىء الكثير أى ما طلعت عليه الشمس وبزغت [2] . . . »

---

(١) المزهر حـ ٢ صـ ٤٣٠ ، صـ ٤٣١

(٢) الأزمنة والأمكنة حـ ٢ صـ ١٥ .

ب ـ ما كتب فى الحيوان

الطير :

سبق لنا الإشارة إلى أن ابن سيده فى المخصص قد نَوَّه عنه [1] ، ولم يورد لنا نصا ولكن وجدنا نصوصا جاءت فى الاقتضاب :

يقول البطليوسى :

« وحكى ابو حاتم عن الأصمعى فى كتاب الطير : اليمام ضرب من الحمام الواحدة يمامة وهو الحمام البرّى وحمام مكة يمام اجمع قال ابو حاتم والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلى ظهرها مائل إلى البياض وكذلك حمام الأمصار وأسفل اليمامة لا بياض فيه [2]. . . . »

وقال عن اليعسوب : « وقال أبو حاتم فى كتاب الطير اليعسوب نحو من الجرادة رقيق له أربعة أجنحة لا يقبض له جناحا أبدا ولا تراه أبدا يمشى وإنما تراه طائرا أو واقعا على رأس عود أو قصبة وأشد :

ومـا طائـر فى الـطير ليس بقـابض جنـاحـاً ولا يمشى إذا كان واقعـا

ويسمى الأميريين الناس يعسوبا تشبيها له بيعسوب النحل [3] . . . »

وقال عن العقاب : « وقال أبو حاتم السجستانى فى كتاب الطير الكبير حدثنى أبو زفافة منهال الشامى مولى بنى أمية أن ذكور العقبان من طير آخر لِطاف الجروم لا تساوى شيئا يلعب بها الصبيان بدمشق [4]. . »

وعن الغرانيق (قال المفُسرِّ) : قد حكى الخليل أنه يقال لواحد الغرانيق التى هى طير الماء غُرْنَيْق وَغُرْنُمق بضم الغين والنون وحكى مثل ذلك أبو حاتم فى كتاب الطير [5]

---

(۱) المخصص حـ ۱ صـ ۱۱

(۲) الاقتضاب صـ ۱۱۰ ، صـ ۱۱۱ ، خزانة الأدب حـ ٤ / ۳۰۰ .

(۳) الاقتضاب صـ ۱۳۱ .

(٤) الاقتضاب صـ ۱۳۳ .

(٥) الاقتضاب صـ ۱۳٤ .

وعن الوطواط : « . . . . وأما أبو حاتم فقال فى كتاب الطير الوطواط الخفاش قال وقال بعضهم الخفاش الصغير والوطواط العظيم [٦] »

وجاء فى خزانة الأدب فيما يتعلق بكتاب الطير ، نصا لأبى حاتم يدخل تحت شرح الشواهد للعينى عن الشاهد الرابع والأربعين بعد المائة (أطرقْ كرا) .

(. . . وقال أبو حاتم فى كتاب الطير : الكروان القبج أى الحِجل . وقيل هو الحبارى [١]

وقال تعقيبا على قول ابن احمر :

إن لا تداركهم تصبح منازلهم قفرا تبيض على أرجائها الحُمُر

كذا فى الصحاح ، وانشد البيت :

وقال أبو حاتم « فى كتاب الطير : الحمر بِعَظم العصفور ، وتكون كدراء ورقشاء [٢] »

وجاعن عنقاء مُغرب :

« وقال أبو حاتم فى (كتاب الطير) . وأما العنقاء المُغربة : فالداهية وليست من الطير التى علمناها . يقال ضربت عليه العنقاء المغربة إذا أصابه بلاء [٣] .

٣ ـ التراث اللغوى :

أ ـ نعلم جهود الرجل فى دفع عجلة اللغة فى عصره . وقد خَلَّف لنا كثيرا من الآثار سنعرض لنصوص من كتب مفقودة وردت اقتباسات منها فى مصنفات القدامى منها :

١ ـ النوادر :

جاء ذكره فى التنبيه على أوهام أبى على القالى . قال أبو على حدثنا أبو بكر أخبرنا أبو حاتم عن العتبى ـ رحمهم الله ـ قال : قال رجل لعبد الملك بن مروان :

(٦) الاقتضاب صـ ١٥٥ ، وينظر صـ ٣٥٢ .

(٢) خزانة الأدب حـ ٤ / ٤٥٧ . (حـ ١/ ٣٧٤ / ٣٩٤ بولاق)

(٢) خزانة الأدب حـ ٦ / ٣٧٢ (حـ ٣ / ٨٣ بولاق)

(٣) خزانة الأدب حـ ٧/ ١٣٢ (حـ ٣/ ٢٠٦ بولاق)

يا أمير المؤمنين هَزَزْتُ ذوائب الرِّحال إليك . ولم أجد مُعَوَّلاً إلا عليك ؛ أمتطى اللَّيْلَ بالنهار ، وأقطع المجاهل بالآثار ، يقودنى نحوك رجاء ، ويسوءنى إليك بَلْوى ؛ والنفس راغبة ، والاجتهاد عازر ؛ وإذا بَلَغْتُكَ فَقدِى . قال أحطط عن راحلتك فقد بلغت . الصحيح أن المخاطب بهذا معاوية بن أبى سفيان ، والمتكلم به هو عبد العزيز بن زرارة الكلابى . وكذلك روى أبو حاتم فى نوادره عن العتبى ؛ ومن هذه الطريق رواه أبو على ؛ وزاد أبو حاتم بعد هذا الخبر : فقال عبد العزيز بن زُرارة :

دَخَلْت على مَعاوية بن حَرْبٍ ... وذلك إذا يئستُ من الدُّخولِ
ومـا نِلتُ الدُّخولَ عليه حَتَّى ... حَللتُ مَحَلَّةَ الرَّجُلِ الذَّليلِ
وأغضيتُ الجفونَ على قذاها ... ولم أسْمَعْ إلى قَالٍ وقيلِ
فأدركتُ الذى أمَّلْتُ منه ... بمُكْثٍ والخطاءُ مَعَ العَجُولِ
ولو أنِّى عَجِلْتَ سَفِهْتُ رأيى ... فلم أكُ بالعجول ولا الجهولِ

هكذا أنشده [1] . . . »

وجاء فى خزانة الأدب للبغدادى بشأن الشاهد الثامن عشر بعد الخمسائة :

(طاروا عَلاَ هُنَّ فَطِرْ عَلاَها ... واشْدُدْ بمثنى حَقَبٍ حَقْواها)

على أنه قد حُكى عن قوم من العرب : لداك ، وإلاك ، وعلاك ، فلم يقلبوا الألف ياءً مع المضمر فى عَلاَهُنَّ وعَلاَها ، وفى المثنى أعنى حقواها . وكان القياس : عليهن ، وعليها ، وَحَقْويها .

قال أبو حاتم : « فيما كتبه على نوادر أبى زيد) : هذه لغة بنى الحارث ابن كعب ولغتهم قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفا : يقولون : أخذت الدِّرْهمان ، والسلام علاكم [1] . . . . »

جاء بصدد تفسير الشاهد الحادى والستين بعد الثمانمائة :

(لَهِنَّا لَمَقْضِىٌّ علينا التَّهَاجُرُ) .

(١) التنبيه على أوهام ابى على القالى صـ ٦٦ ، صـ ٦٧ .

(٢) خزانة الأدب (حـ٣ صـ ١٩٩ ، ٣٣٧ (بولاق) حـ٧ (١١٢ ، ١١٣ ، ٤٥٢ (هارون)

يقـول البغدادى : (أبو حاتم : لهنك يريد لله إنَّك ، فحذف ثم حذف) انتهى قال الأخفش (فيما كتب على النوادر) : قول أبى حاتم ليس بشيء عند أصحابه البصريين لأنه حذف مُخِلٌّ بالكلام . وذلك أنه حذف حرف الجَرِّ وجملة من الاسم المجرور . وهذا لا يجوز عند أهل العربية . ولا نظير له ، ولكن تأويل لَهِنَّك بلأنك صحيح ، وفيه إبدال الهاء من الهمزة ، لأنها تقرب منها فى المخرج [٢]. . . »

٢ ـ غريب اللغة :

ورد ذكره فى خزانة الأدب (حـ١ / ١٧٩ ، ٣٧٠ بولاق) فى تفسيره الشاهد السابع والخمسين قوله :

(. . . . وقد فسر الأصمعى حروفا من اللغة فى كتابه ، وفَسرَّ الجرمى الأبنية ، وفسرَّها أبو حاتم ، وأحمد بن يحيى . وكل واحد منهم يقول ما عنده فيما يعلمه ، ويقف عما لا علم له به ، ولا يطعن على مالا يعرفه ، ويعترف لسيبويه فى اللغة بالثقة ، وأنه عَلِمَ ما لم يعلموا وروى ما لم يروا [٢])

٣ ـ كتب اللغات :

ـ لحن العامة :

ويعرفون لحن العامة بقولهم : وليس المقصود من العامة هنا الدهماء وخشارة الناس ، فما كان يهم اللغويين من أمرهم شىء وإنما المقصود بهم عند هؤلاء هم المثقفـون الـذين تتسرب لغـة التخـاطب والحياة اليومية الى لغتهم الفصحى فى كتاباتهم أو أحاديثهم فى المجالات العلمية والمواقف الجدية كموقف الخطابة والوعظ مثلا ؛ بل لقد وصل ببعضهم الأمر أن يخصوا بكتاباتهم خاصة المثقفين كالحريرى مثلا الذى يسمى كتابه : « دُرَّة الغَوَّاص فى أوهام الخواص [٢]» . ويكتب من جاء بعده فى هذا الفن اللغوى ، وكأنه فتح الباب أمامهم .

---

(٢) خزانة الأدب (حـ ٤ صـ ٣٣٦ (بولاق) حـ ١٠ صـ ٣٤٣ هارون .

(٢) عبد القادر بن عمر البغدادى (خزانة الأدب حـ ١ صـ ١٧٩ بولاق ، حـ ١ صـ ٣٧٠ ت هارون ط/ ٢ القـاهرة سنة ١٩٦٧ . وينظر مقال د/ محمد حسين آل ياسين صـ ٢٥٥ وما بعدها بعنوان : ما وضع فى اللغة عند العرب حتى نهاية القرن الثالث المنشور فى مجلة المورد العراقية المجلد التاسع العدد الرابع سنة ١٤٠١ هـ .

(٢) د/ رمضان عبد التواب : لحن العامة والتطور اللغوى صـ ٦٤ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٦٧ .

ونريد هنا أن نشير الى ما بقى منه فى مؤلفات اللاحقين :

يقول الآمدى فى المؤتلف والمختلف مشيرا إلى هذا الكتاب تحت « فصل من يقال له الأخطل » ومنهم الأخطل بن حمّاد بن الأخطل بن ربيعة بن النَّمْر بن تَوْلب شاعر لم يقع إلىّ شعره ، وأنشد له أبو حاتم فى كتاب ما تلحق فيه العامّة »

يهُينـون من حَفَـرُوا شَيْئَـهُ وَإنْ كان فيهـم لقـى أو يُبر

ومعنى ذلك أن هذا الكتاب حفظ لنا من تراث هذا الشاعر الذى يقول عنه الآمدى (لم يقع إلىّ شعره [٣])

وأشـار بروكلمان إلى وجود إشارة عنه فى تاج العروس (حـ٢ صـ ٢٧١) ولم يتحقق ذلك [١] وهناك مصادر عديدة أشارت إلى هذا الكتاب [٢]

ويظن عبد العزيز مطر أن هذا الكتاب هو المزال والمفسد ، وأورد نماذج من مصادر كياقوت فى معجم البلدان ، وابن منظور فى اللسان . يقول :

(ولعل هذا الكتاب هو ما سماه ياقوت وابن منظور : (المزال والمفسد) ونقلا عنه [٣] وجاء فى مادة (أهل) :

« . . . . وروى أبو حاتم فى كتاب المزال والمفسد عن الأصمعى يقال استوجب ذلـك واستحقه ، ولا يقال اسْتَأْهَلَهُ ولا أنت تسْتأْهِل ولكن تقول هو أهْلُ ذاك وأهـل لذاك ويقال هو أَهْلُهُ ذلك . وَأَهَّلَه لذلك الأمر تأهيلا وآهله رآه له أهلا واستأهله : أستوجبه وكرهها بعضهم ومن قال وَهَّلْتُه ذهب به إلى لغة من يقول وامَرْتُ وَوَاكلتُ [٤]»

---

(٣) الآمدى : المؤتلف والمختلف : تحقيق عبد الستار فراج صـ ٢٢ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٦٠

(١) تاريخ الأدب العربى صـ ١٦١ .

(٢) منها . الفهرست لابن خير الاشبيلى صـ ٣٤٨ ، ابناه الرواة حـ ٢ صـ ٦٢ ، بغية الوعاة حـ ٢ صـ ٦٦١ ، وكشف الظنون ٢/ ١٥٧٧ .

(٣) د/ عبد العزيز مطر : لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة صـ ٦١ وما بعدها ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٦٧ .

(٤) اللسان حـ ١٣ / ٣١

وأرى أن ابن منظور يحدد كتاب (المزال والمفسد) ، وكذلك لا سبيل إلى اعتبار هذا الكتاب هو لحن العامة بذاته بدليل أن الأزهرى فى تهذيب اللغة يقول :

« ولأبى حاتم كتاب كبير فى اصلاح المزال والمفسد وقد قرأته فرأيته مشتملا على الفوائد الجمة ، وما رأيت كتابا فى هذا الباب أنبل منه ولا أكمل [٥] »

وقال الصغانى فى الشوارد فى القسم الثالث : « فيما تفردوا به : أبو حاتم سهل ابن محمد السجستانى فى كتاب « تقويم المُفْسَدِ والمزال عن جهته من كلام العرب »

(مول) : رجل مالٌ ، وَمالٍ : أى ذو مالٍ ، وامرأة مالَةٌ ، وماليَةٌ (هور) : جُرُفٌ هارٌ ، بالرفع : لُغَةٌ فى قولهم : جُرُفٌ هارٍ [٦] . . . »

فهذا التحديد يقطع السبيل عن كل من يَدَّعى انه هو لحن العامة وإلا لذكر ذلك صراحة فى ثبت من ألفوا وترجموا سيرة أبى حاتم ومؤلفاته

ونعود إلى لحن العامة ودورانه فى كتب السابقين نقول جاءت اقتباسات منه فى لحن العامة للزبيدى :

يقول الزبيدى : (ويقولون للسكر (طَبرْزٌ) . قال محمد : والصواب طَبرْزَل قال أبـو على : « طَبرْزَلَ ، وطَبرْزن ، باللام والنون : قال أبو حاتم : « هو الطَّبرْزد » بالذال المعجمة [١]

وفى الصحـاح (جرم) : وقال أبو حاتم : قد أولعت العامة بقولهم : فلان صافِى الجِرْم ، أى الصَّوْتَ أو الحلق . وهو خطأ [٢]

وفى المخصص لابن سيده : (أبو حاتم : ثوب بِرْنكانِى . لضرب من الأكسية وهو مما تلحن فيه العامة فتقول « بَرْكانٌ » وقلت للأصمعى هل يقال تبرنكت قال

---

(٥) تهذيب اللغة حـ ١ ص ٢٢

(٦) الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغانى : كتاب الشوارد أو ما تفَرَّد به بعض أئمة اللغة تحقيق / مصطفى حجازى صـ ٤٨ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٨٣ م .

(١) أبو بكر الزبيدى : لحن العوام ، تحقيق د/ رمضان عبد التواب صـ ١٤٣ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٦٤ .

(٢) اسماعيل بن حماد الجوهرى : تاج اللغة وصحاح العربية ، (تحقيق) : أحمد عبد الغفور عطار حـ ٥ صـ ١٨٨٥ ط/ ٢ بيروت سنة ١٩٧٩ .

لا أعرفه [٣]

وفى ذيل الأمالى للقالى :

« وسأل رجل أبا حاتم عن قول العامة : (البَصرة فقال : هو خطأ ، إنما سُمِّيَتْ البَصرْة للحجارة البيض التى فى المِرْبَد ، وأنشد :

سَقَى البَصرْةَ الوَسْمِىُّ من غير حُبِّها فإنَّ بها مِنِّى صَدًى لا يَريمُها

(. . . قال وأنشدنا أبو حاتم لأعرابى من بنى تميم قدم البصرة فرأى أهلها

ما أنا بالبَصرْة بالبَصرْىِّ ولا شَبيهُ زِيِّهم بزِيِّ

قال أبو حاتم : ولو كانت البَصرة كما قيل ، ونسبت إليها لقلت : بَصرَىٌّ كما قالوا : نَمرِىٌّ [١] . . . »

وقد اورد ابن مَكىِّ الصِّقَلى فى تثقيف اللسان : آراء لأبى حاتم تدور فى هذا الفلك ولم يرد فيها ذكر (العامة) : منها ما جاء تحت باب :

ما يجوز فيه تذكيره وتأنيثه وهم لا يعرفون فيه (غير أحدهما) :

والسلطان لا يعرفون فيه إلا التذكير والتوحيد . قال أبو حاتم : وهو يؤنث ويذكر [٢]

- كتب الصيغ والابنية :

- المقصور والممدود :

منه اقتباسات فى الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسى منها : « وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى المقصور والممدود قال : يقال : قفاً وأقفية ، ورحى وأرحية ، وندى وأندية [٣] »

---

(٣) ابن سيده : المخصص حـ ٤ صـ ٨٠ ط/ ٢ بيروت مصوَّرَة عن نسخة بولاق .

(١) أبو على القالى : ذيل الأمالى والنَّوَادر صـ ٢٤ (ط/ ١ الهيئة المصرية العامة للكتاب) القاهرة سنة ١٩٧٥

(٢) ابن مكى الصقلى : تثقيف اللسان وتلقيح الجنان تحقيق د/ عبد العزيز مطر صـ ١٨٠ وتنظر صفحات ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٣٨ ، ٢٥٢ ط/ ١ القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ

(٣) ابن السيد البطليوسى : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب صـ ٢٧٩ ط/ ٢ بيروت سنة ١٩٧٣

ـ كتب الأصوات :

ـ الوقف والابتداء :

وجدنا اقتباسات من كتابه فى مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى . جاء فى مغنى اللبيب تحت الجملة الابتدائية ، وتسمى أيضا المستأنفة قوله :

« من الاستئناف ما قد يخفى ، وله أمثلة كثيرة » . وذكر تحت التنبيه الخامس قوله :

« . . . زعم أبو حاتم أنَّ من ذلك (تُثِيرُ الأرض . فقال : الوقف على (ذلول) جيد ثم يبتدىء (تُثِيرُ الأرض) على الاستئناف [٤] . . . »

ثم جاء تحت ذكر الجهات التى يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها جاء تحت الشرط السادس : « قول الحوفى » إن الباء من قوله تعالى : « فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ [١] متعلقة بناظرة ، ويرده أن الاستفهام له الصَّدْر ومثله قول ابن عطية فى (قاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [٢])

إن أَنَّى ظرف لقاتلهم الله ، وأيضا فيلزم كون يؤفكون لا موقع لها حينئذ ، والصواب تعلقها بها بعدها . ونظيرها قول المفسرين (ثم إذا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرض إذا أنتم تَخْرُجُونَ [٣])

إن المعنى إذا أنتم تخرجون من الأرض ، فَعَلَّقُوا ما قبل إذا بها بعدها حكى ذلك عنهم أبو حاتم فى كتاب الوقف والابتداء ، وهذا لا يصح فى العربية [٤] . . . »

ب ـ تراثه اللغوى المنثور فى مصنفات الأقدمين .

تعرضنا فى كتابنا دراسة عن المعانى الكبير لابن قتيبة لكثير من آرائه اللغوية ونعرِّج هنا على تهذيب اللغة للأزهرى ، لنرى النصوص التى جمعها وضمنها آراء

---

(٤) سورة البقرة / ٧١

(١) سورة النمل / ٣٥

(٢) سورة التوبة / ٣٠

(٣) سورة الروم ٢٥ .

(٤) ابن هشام : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد حـ ٢ صـ ٣٨٤ وما بعدها . القاهرة ـ بدون تاريخ)

ابى حاتم اللغوية .

يقول الأزهرى قال : « أبو حاتم عن الأصمعى : درهم بَخِيٌّ - الخاء خفيفة - لأنه منسوب إلى (بَخْ) و (بَخ) خفيفة الخاء ، بَخْ بَخْ وبَخ ، وَبَخٍ ، وهو كقولهم : « ثوب يَدِيٌّ » للواسع ويقال للضَّيِّق ، وهو من الأضداد .

قال : والعامة : تقول بَخِّيٌّ - بتشديد الخاء - وليس بصواب .

وقال أبو حاتم : لو نُسب إلى بَخْ « على الأصل - قيل : بَخَوِيٌّ - كما اذا نسبت إلى (دَمٍ) قيل دَمَوِيٌّ [٥] » .

فهنا وقف أبو حاتم يرصد الحركة اللغوية فى قرنه ، ويتبع العامة فى كلامهم محاولا الكشف عن وجه الاتفاق أو الاختلاف مع الفصحى .

ونقدم نموذجا آخر يكشف لنا عن ثقافته وإحاطته بلغات العصر وأعنى أشدها قربا بالمجتمع العراقى آنئذ ، وأقصد بها اللغة الفارسية .

يقول الأزهرى : قال الليث : الخَمْن : تخمينك الشىء بالوَهْم . . خَمَنَ يَخْمِنُ خَمْنا . يقول : قل فيه قولا بالتخمين أى بالوهم والظن .

وقال أبو حاتم : هذه كلمة أصلها فارسية ثم عُرِّبت . . وأصلها عن قوله : (خَمَانا) معناه : الظن والحدْس .

ويقال : هو من خُمَّان الناس - أىْ : مِنْ ضُعَفَائهم ، كأنه (فَعْلان) من الخَمن وهو الكنس [١] »

وبالإضافة إلى أنه ثَقِف ثقافة عصره ؛ إلا أنه كشف عن حركة الإحتكاك اللغوى بين العربية وغيرها ، وما تولّد عن هذا الاحتكاك من تلاقٍ بين العربية والفارسية أخذا وعطاء وهو الذى يسمّيه بالتعريب .

بل إن النص الذى سأقدمه للقارىء يكشف عن إحاطة بكل ما يجرى فى

---

(٥) تهذيب اللغة حـ ٧ صـ ١٥ .

(١) تهذيب اللغة حـ ٧ صـ ٤٥١ .

البصرة ويكشف عن واسع اطلاع ، بل تعمق هذا المجتمع ، يقول أبو منصور :

« وقال أبو حاتم : قال أهل البصرة أجمعون : الإِخْوَةُ فى النَّسب ، والإِخْوان فى الصَّدَاقة ؛ يقول رجل : من إخوانى وأصدقائى . فإذا كان أخاه فى النَّسب قالوا : إخوتى . قال أبو حاتم : وهذا (خطأ و) تخليط . يقال للأصدقاء وغير الأصـدقـاء إِخْوَةٌ وَإِخْوان . قال الله (جل وعز) : إنما المؤمنون إِخْوَةٌ) ولم يَعْنِ النسب . وقـال : « أو بيوت إخوانكم » وهذا فى النَّسب [٢] . . . . » ما جاء فى الاتباع والمزاوجة لابن فارس قوله :

(وحدثنى أبو بكر بن دريد ، قال : حدثنى أبو حاتم ، قال : سَمِعْتُ أم الهيثم تقول : شيرَة ، وأنشدت :

إذا لم يَكُـنْ فيكـنَّ ظِلٌّ ولا جَنى ... فَأَبْـعَـدَكُـنَّ الله من شيرَاتِ

فقلت يا أم الهيثم صَغِّرِيها ، فقالت : شُيَيْرَة .

ويمكن أن يكونوا أبدلوا من الحاء هاء ، كما قالوا : مَدَحْتُه ، وَمَدَهْتُه ، والمدح والمده ثم أبدلوا من الهاء ياء ، كما أبدلوا فى هذه وهذى ، وهذا الإبدال قليل فى كلامهم [١] . . . »

ثم تكلم عن أمثلة من الاتباع قال :

(قال ابن دريد فى الجمهـرة : (باب جمهرة من الاتباع) يقال : هذا جائع نائع ، والنائع المتمايل ، قال :

مُتَأَوِّد مثل القضيب النائع

وعطشان نطشان ، من قولهم ما به نطيش أى حركة ؛ وَحَسْن بَسَن ، قال ابن دريد سألت أبا حاتم عن بسن ، فقال : لا أدرى ما هو [٢]

---

(٢) تهذيب اللغة حـ ٧ صـ ٦٢٥ ، صـ ٦٢٦ .

(١) أبو الحسين احمد بن فارس : الاتباع والمزاوجة تحقيق كمال مصطفى صـ ٨٠ ، ط/ القاهرة سنة ١٩٤٧

(٢) المرجع السابق صـ ٩٠

وقال ابن فارس فى الصاحبى تحت باب الخصائص :

« قال (أبو حاتم) : (ليلة ذات أزيز) أى : قُرّ شديد . ولا يقال : يومٌ ذو أزيز [٣] »

وقال : والازيز شدة السير ، يقال أَزَّتْنا الرِّيح أى ساقتنا [٤] . . . . »

ومن جهوده اللغوية المنثورة فى كتاب الأفعال للسرقسطى قوله : تحت مادة (عار) :

(وعَارَ عَينُ الرجل عَوْراً ، وَأَعْوَرَها : فقأها .

قال أبو عثمان : وزاد أبو حاتم : وَأَعَرْتها ، وَعَوَّرْتها . قال ومنه المثل :
(كالكلب عَارَهُ ظُفْرُهُ ، وكالْعَيرْ عَارَهُ وَتَدُهُ [١] »
وتحت مادة (عند) :
(. . . قال وروى أبو حاتم : عَنَد فلان عن الشىء يَعْنِدُ عُنُودا : تَباعَد .
وقال غيره : عَنَد فلان عَنْداً ، فهو عاند وَعَنُودٌ [٢] . . . . »

وقال ابن السيد البطليوسى فى المثلث قال :

الرَّمَّةُ والرِّمَّةُ والرُّمَّةُ :
الرَّمَّةُ بالفتح : فَعْلَةَ من قولك : رَمَّ الشىء يَرُمُّهُ إذا أصلحه ، وَرَمَّتِ الشاةَ البنت إذا أكلته .

والرِّمَّة بالكسر : العظام البالية وكأنَّها جمعُ الرَّميم ، كما قالوا : صبى وصبيةٌ .
والرِّمَّةُ أيضا : النَّمْلةُ ذات الجناحَينْ عن أبى حاتم ، حكاه أبو على البغدادي فى البارع ورويناها عنه فى النوادر فى حديث سواد بن قارب الدَّوْسى : لقد خَبَأْتُ

---

(٣) ابن فارس الصاحبيُ : تحقيق السيد احمد صقر صـ ٤٤٨ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٧٧ م
(٤) معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون حـ١ صـ ١٤ ط/ ٢ القاهرة : ١٩٦٩ م

(١) أبو عثمان سعيد بن محمد المعافرى السرقسطى : كتاب الأفعال ، تحقيق حسين محمد محمد شرف حـ ١ صـ ٢٠٣ ط/ ١ القاهرة ١٩٧٥.م .
(٢) المرجع السابق حـ ٢ صـ ٢٣٢

دِمَّة فى رِمَّةٍ بدالٍ غير معجمة .

والرُّمَّةُ بالضم : القطعة من الحبل وتوضَعُ مكان جملة الشيء ، فيقال : أَدْفَعُهُ إليه برُمَّتِه : وسمى ذو الرُّمَّة الشاعر لقوله :

أشعَثَ باقى رُمَّةِ التقليد [٣]

وقال : الوَرْكُ والوِرْكُ والوُرْكُ :

(الـوَرْكُ بالفتـح : مصدر وَرَكْتُ الرجُلَ : إذا ضرَبتَه فى وركِهِ وهو أيضا : مصدر وَرَكَ وَرَكاً : إذا ثَنَى وَرْكه لينزل عن دَّابته .

قال ابو حاتم : قال الأصمعى : لا يقال الأنثى وَرْكه بفتح الواو وسكون الراء لا غير لأنه مصدر وَرَكَ يَرِكُ وَرْكاً [٤] . . . . »

وقال كذلك ابن السيد البطليوسى فى كتاب الحُلَل فى شرح أبيات الجمل :

مورداً بيتا لمزاحم بن الحارث العقيلى :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْه بعـدَ ما تمَّ ظِمْؤُها   تصـلُّ وَعَـنْ قيضٍ ببيداءَ مجْهـلِ

وجاء فى تفسيره :

و « غدت من عليه بعد ما تمَّ . . . » أراد أنها أقامت مع فرخها حتى احتاجت إلى ورود الماء ، وعطشت فطارت تطلب الماءَ عند تمام ظِمْئِها .

و (الظمء) : مُدَّة صبرها عن الماء ، وهو ما بين الشرب إلى الشرب ، ويروى (بعد ما تمَّ خِـمْسُها) ، وهو : ورود الماء فى كل خمسة أيام . ولم يَرِد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ؛ وإنما هى للإبل لا للطير ولكنه ضربه مثلا ،

هذا قول أبى حاتم ، ولهذا كانت رواية من رَوَى (ظِمْئوها) أحسنَ وَأَصَحَّ معنى . . » إلى أن يقول :

(قال أبو حاتم : وقلت للأصمعى : كيف قال : غدت من عليه ، والقطاة إنما تذهب إلى الماء ليلا ، لا غُدوَة ؟

---

(٣) ابن السِّيد البطليوسى : المثلث تحقيق صلاح مهدى على حـ ٢ صـ ٥٤ ، صـ ٥٥ ط/١ العراق سنة ١٩٨٢

(٤) المرجع السابق صـ ٤٧٢ . وينظر كذلك صـ ٤١٨ .

فقال : لم يُرد الغُدْوةَ ، وإنما هذا مثل للتعجيل ، والعرب تقول : (بكر إلى العشيَّة) ولا بكورَ هناك [١] . . . »

وجاء في المخصص لابن سيده :
تحت الكذب والدعوى : قول أبي حاتم : (رَجُلٌ كَذْبانٌ وكَذُبَةٌ وكَذُوب [٢])

---

(١) ابن السِّيد البطليوسي : كتاب الحلل في شرح أبيات الجمل : تحقيق د/ مصطفى إمام صـ ٧٩ ، صـ ٨٠ ، ٣٤٥ ، ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٧٩ ،

(٢) المخصص جـ ٣ صـ ٨٥ .

الباب الثانى

الفصل الثانى

آثاره اللغوية

أبو حاتم واللغة :

بذل أبو حاتم جهودا مضنية فى تحصيلها من مظانها المختلفة وأنفق فى ذلك عمرا مديدا ناهز التسعين عاما .

التقى بابى زيد الأنصارى والأصمعى وبأبى عبيدة واستمع منهم والتقى بالأعراب الأقحاح وصحح مروياته وفق رواياتهم للغة .

ولم يقف عند حد فى تحصيل اللغة وخلف لنا تراثا ضخما فى هذا السبيل ضاع ضمن ما ضاع من تراثنا الخالد تحت ضربات التتار وغيرهم ممن تعقبوا آثارنا فانتهبوها .

ولكن بقيت بعض الكتب التى لا تجاوز ستة كتب أفلتت من قبضة الضياع وأخذت تصاول الزمن ويصاولها حتى وصلت الينا .

ومنها ما ضاع وبقيت آثار منه فى مصنفات الأقدمين وقد تعرضنا لهذا من قبل .

ونريد فى هذا الفصل أن نتكلم عن جهود لغوية خاصة وبارزة تكشف عن تمكن الرجل واقتداره وامتلاكه لناصية أمره فى هذا المجال .

والثانى أن نُعَرِّجَ فنلقى نظرة على آثاره المطبوعة . فنتخيرٌ بعضها كإشارة لجهود هذا الرجل فى هذا المجال .

أ ـ جهود لغوية لأبى حاتم :

١ ـ السماع من الأعراب :

تكلمنا فى الفصل السابق عن آثاره بصفة عامة وأشرنا إلى آثاره اللغوية ودورانها فى مصنفات الأقدمين بصفة خاصة ونريد هنا أن نلقى نظرة على نشاطه وحركته الدائبة مع اللغة فى هذا القرن .

نحن نعلم أن سوق المربَد كان محطا للأعراب القادمين من البادية طَلَباً للميرة .

وأن الأدباء والشعراء ورجال اللغة وغيرهم . كانوا يهيجون بهم ليسمعوا منهم اللغة مُصَفَّاةً من كُدْرَة العجمة .

وكان منهم من التقى بهم أبو حاتم وسجَّلت هذا اللقاء آثار شيوخنا القدامى نذكر منهم على سبيل المثال .

١ ـ العقد الفريد :

قال ابن عبد ربه تحت باب قول الأعراب فى الدعاء :

« قال أبو حاتم : أملى علينا أعرابى يقال له مرثد : اللهم اغفرْ لى ، والجلد باردُ ، والنفس رابطة ، واللسان منطلق ، والصحف منشورة ، والأقلام جارية والتوبة مقبولة ، والأنفس مُريحة ، والتضرع مَرجو قبل أزِّ العروق [١] .

وَحَشِك النَّفْس [٢] ، وَعَلز الصَّدْر [٣] ، وتزَيُّل الأوصال ، ونصول الشعر ، وتحيُّف التراب [٤] . . . الخ [٥]»

وجاء فى معجم مقاييس اللغة قول ابن فارس :

(قال أبو حاتم : قالت أم الهيثم : جَلَستِ الرَّخَمَة إذا جَثَمَتْ . والجلْس الغلظ من الأرض . ومن ذلك قولهم ناقة جَلْس أى صلبة شديدة [٦] . . . »

وجاء فى مقدمة ابن عطية فى علوم القرآن :

« وذكر أبو حاتم السجستانى أنه سمع حترش بن ثمال ، وهو عربى فصيح ، يقول فى خطبته : الحمد لله إحْمِدُه وإسْتعينُه ، وَإتْوكل عليه ، فيكسر الألفات كلها . وأكثر العرب يجعلون القاف تقارب الكاف فى السماع ، ورأيت غير واحد منهم يجعل الجيم كلها تقارب الباء ضربا من المقاربة ، وهؤلاء لو أخذوا بها يخالف

---

(١) أز العروق : ضرباتها .

(٢) حشك النفس : اجتهادها فى النزع .

(٣) العلز : القلق والكرب عند الموت .

(٤) التحيُّف : التنقص .

(٥) ابن عبد ربه الأندلس : العقد الفريد ، تحقيق احمد امين وآخرين حـ ٣ صـ ٤١٩ ط ٣ القاهرة سنة ١٩٧١

(٦) معجم مقاييس اللغة حـ ١ صـ ٤٧٤

عاداتهم لتعسر ذلك عليهم فيسر الله عليهم بلطفه ليقرأ كل فريق منهم بما هو عادته وليس لغيرهم أن يسلك فى القراءة مسلكهم ولكن يلزم التلاوة المنقولة عن رسول الله ﷺ ، وكان التيسير من الله تعالى بأن أنزل القرآن على سبعة أحرف [١] . . . . »

وجاء فى المزهر للسيوطى :

« وقال البطليوسى فى شرح الفصيح : قال أبو بكر بن دريد قال أبو حاتم قلت لأم الهيثم : كيف تقولين أشد سواداً مماذا ؟ قالت : من حَلَك الغراب قلت : افتقولينها من حَنَك الغراب ؟ فقالت : لا أقولها أبداً [٢] »

٢ ـ ويبدو لى بأن المِرْبد فى البصرة فى القرن الثالث الهجرى كان منطقة حيوية تموج بالحركة التجارية المزدهرة ، كما كانت سوقا هامة يرتادها أبناء البوداى للميرة ، كما أنها كانت محلة ينزل بها الأشراف . استنتجت ذلك مما قاله حمزة الأصفهانى :

« وقال أبو حاتم : كنت أختلف مع أبى عبيدة والأصمعى إلى ذوى الأشراف بالمربد من رهط سليمان بن على للاستماع إلى ما يُقرأ عليهما من الكتب ، فقرأ على أبى عبيدة يوما سليمان بن جعفر شعر عَبِيْد فقال :

حال الجريض دون القريض ، فقال أبو عبيدة : الحرض شؤم وتغافل [٣] »

٣ ـ أبو حاتم والحركة اللغوية المعاصرة له :

ان الناظر فى تراثنا اللغوى القديم يدرك لأول وهلة قدر الجهد الذى بذله هذا الرجل العظيم سواء أكان تأليفا خاصا به أم رواية عن شيوخه الثقات أم رصدا منه لحركة اللغة المعاصرة له .

وقد أشرنا إلى ذلك لما تكلمنا عن شيوخه ، ولكنه نريد هنا أن نلقى ضوءا كاشفا على جهوده فى متابعة الحركة العلمية فى عصره خاصة فيما يتعلق بالمعرَّب وذلك نتيجة الاحتكاك والخلاط بين العرب والفرس وغيرهم من أبناء الأمم

(١) مقدمتان فى علوم القرآن (مقدمة كتاب المبانى ، ومقدمة ابن عطية) تحقيق أرثر جفرى تصحيح عبد الله اسماعيل الصاوى صـ ٢٢١ ط/ ٢ القاهرة سنة ١٩٧٢ .

(٢) المزهر حـ ١ صـ ٤٧٥ .

(٣) حمزة بن حسن الأصفهانى : التنبيه على حدوث التصحيف تحقيق محمد حسن آل ياسين ط/ ١ العراق سنة ١٩٦٧ .

المفتوحة .

وألقيت نظرة فاحصة لما جاء فى المعرَّب للجو اليقى ، وما أورده ابن شهاب الدين احمد الخفاجى فى شفاء الغليل . فرأيت الرجل باسهاماته فى هذا المجال قد استطاع أن يفتح الباب أمام حركة التعريب خاصة لمن جاء بعده ، كالمبرد فى الكامل مثلا . وكشف لى أيضا عن ثقافته الواسعة باللغة الفارسية . وإحاطته بها إحاطة كشفت عن باحث متعمق متخصص ، والنصوص كثيرة جدا . ولكن سأشير إلى نماذج منها تكشف عن جهوده اللغوية .

من ذلك ما جاء به الجواليقى فى المعرَّب حيث يقول :

« قال أبو بكر » : « القِنْقُنْ » و « القُنَاقِنُ » : الذى يعرف مقدار الماء فى باطن الأرض فيحفر عنه [قال] الأصمعى هو فارسى مُعَرَّب . وقال أبو حاتم : هو مشتق من الحفرِ من قولهم بالفارسية « بِكَنْ » أى : احْفِرْ [1]

فتعقيبه يكشف عن دارس واع محيط بأسرار اللغة الفارسية . بل أستطيع القول بأن أبا حاتم ملك ناصية القول فى اللغتين العربية والفارسية وأراه بتحليله الرائع ، من أوائل من أرسوا قواعد فقه اللغة المقارن . فهو لم يكتف بالتحليل اللغوى ؛ بل يستغرق فى التحليل الصوتى للكلمة ، ومنه يخرج بنتيجة إلى أن الكلمة فارسية ؛ فإحاطته بلغته واستغراقه أسرارها أعطاه قدرة واقتدارا على أن يفصل فى القضية اللغوية المعروضة .

قال أبو منصور :

(و « القُبَّانُ » قال أبو حاتم : هو فارسى مُعَرَّب . قال : ولو كان « القبَّانُ » عَرَبِياً كان اشتقاقه من القبِّ) و « القبيب » وهو ضرب من الصَّوْتِ [1] .

---

(١) أبو منصور الجواليقى : المعرَّب : تحقيق احمد محمد شاكر صـ٣٠٨ ط/ ٢ القاهرة ١٩٦٩ .

(١) المعرب صـ ٣٢٣ وكذلك ذهب الجوهرى إلى أنه معرب [وحمار قبَّان دُوَيبة ، وهو فعلان من قبَّ لأن العرب لا تصرفه ، وهو معرفة عندهم ، ولو كان فعَّالا لصرفته . تقول : رأيت قطيعا من حُمر قبَّان . وقال الشاعر :

يا عَجَباً لقد رأيتُ عَجَبا حمار قبَّانَ يسوق أرنبا .

[الصحاح حـ ١ صـ ١٩٨]

وإذا كان السماع من الأعراب حجة عند المدرسة البصرية ، وأنهم يصححون مروياتهم وفقا لما يسمعونه من الأعراب الأقحاح ، حيث عربيتهم مُصَفَّاة من كُدْرة العُجْمَة .

فإنى رأيت فيما جاء به الجواليقى من الكلمات المعرَّبة ما يكشف عن اختلاط الأعـراب بأبنـاء الحضر وتأثرهم بما سمعوا ، ثم تطويعهم لما سمعوه وإخضاعه للمقاييس اللغوية .

قال أبو منصور :
و « الزَّنْفليجة » [ويقال] « الزَّنْفِيلجَةُ » و « الزَّنْفَالجَةُ » : أعجميٌّ مُعربٌ .

قال الأصمعى : سمعتها من الأعراب . قال أبو حاتم : وسمعتُها : من أم الهيثم وغيرها سَهْلا فى كلامهم ، كأنهم قلبوها إلى كلامهم . قال الأصمعى : وهى بالفارسية « زِينْ فَالَة : وعاءٌ [(٢)].

فهذه المدرسة ، أى المدرسة البصرية تحقق فيها مبدأ حرية الرأى ، فالشيخ يدلى برأيه والطالب النابغة يعقب بأنه سمعه من مصدر محدد موثوق به .

ولكن بالبحث المستقصى أرى أبا حاتم أرسى بتحليله اللغوى المقارن عن هذا الاتجاه فى الدرس اللغوى والأدبى قبل أن تحدده لنا المدرسة الفرنسية أو الأمريكية فى هذا المجال .

وإذا كان جوهر الأدب المقارن هو التأثير والتأثُّر ، فرأيت فى تعقيب أبى حاتم على بيت الأعـشى من كشف عن هذا التيار القـديم الـذى سرى فى الأدب الجاهلى ، كاشفا عن اتصال أدبى ولغوى باللغة الفارسية وحضارتها تجلى ذلك فى شعر الأعشى .

قال أبو حاتم : سألت الأصمعى عن « الرَّوْزَنِ » فقال فارسىّ ، لا أقول فيه شيئا .

قال أبو حاتم : « الرَّسَنُ » بالفارسية . إلا أنه قد أُعرِبَ فى الجاهلية .

---

(٢) المعرب صـ ٢١٨ .

قال الأعشى :

ويكْـنُـزُ فيهـم هَبِـي واقْـدَمِـي وَمَـرْسُـونُ خَيِّلٍ وأعَـطَالهُـا

ومنه سُمِّىَ الأنفَ المَرْسَنُ ، أى موضع ، « الرَّسَن » من الدوابِّ [1]

ومما يدل على هذا الاحتكاك اللغوى القديم ما جاء فى الجمهرة لابن دريد حيث يقول :

« قال أبو حاتم » : « التَّنُور » ليس بعربى صحيح ، ولم تعرف له العرب اسما غير التَّنُور . فلذلك جاء فى التزيل : وَفَارَ التَّنُّورُ ، لأنهم قد خوطبوا بما قد عرفوا [1] . . .

وتكشف هذه الجولة اللغوية مع أبى حاتم عن ثقافته اللغوية المحيطة بأكثر من لغة ، فهنا إحاطة بالسريانية :

قال الأصمعى : (يا هَيَاهُ) مفتوح الهاء ، و (يهْيَاه) . قال أبو حاتم . فقلت : كيف يقول للاثنين والجمع والمؤنث ؟ فلم يَدْر .

قال أبو حاتم : أظنّ أصَلهَ بالسريانية « يا هَيًّا شرَاهَيًّا [2] »

بل بلغت دقته اللغوية فى أنه يُفَصِّل القول فى تقسيم (الأعجمى) : جاء فى شفاء الغليل :

جدة النهر : بالضم شاطئه ومنه بلدة جدة ساحل مكة شرفها الله تعالى ، وإذا حُذفت تاؤه كُسر فقيل جد ، والعامة تفتحه وتزعم أنه سُمِّىَ بها لأن حواء مدفونة بها ولا أصل له كما صرحوا به وقال أبو حاتم هو عجمى نبطى ، وعن ابن كيسان الجد بالضم الطريق فى الماء ، ويقال للموضع الذى ترفأ إليه السفن جدة وجد أيضا وهو عربى صحيح عنده [3] »

(١) المعرَّب : صـ ٢١٢

(١) سورة هود / ٤٠

(٢) الجمهرة لابن دريد حـ ٢ صـ ١٤ .

(٢) المعرب صـ ٤٠٦

(٣) شهاب الدين أحمد الخفاجى : شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، تصحيح محمد عبد المنعم خفاجى صـ ٩٣ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٥٢ .

ومن خلال كلامه عن المعرَّب كشف عن الاتجاهات المذهبية والأهواء السائدة فى عصره من ذلك قوله عن زنديق :

« . . . قال ابو حاتم هو فارسى معرب (زنده كرد) أى عمل الحياة لأنه يقول ببقاء الدهر ودوامه [٤] . . . »

ب ـ آثاره اللغوية المطبوعة :

١ ـ هذا القسم خصصناه للكلام عن آثاره اللغوية المطبوعة ، ونحاول تقديمها للقارىء ليقف على قدر الجهد الذى بذله شيوخنا العظام فى الحفاظ على اللغة . من هذه الآثار :

١ ـ الأضداد :

يقول أبو حاتم عنه :

« حملنا على تأليفه أنا وجدنا من الأضداد فى كلامهم والمقلوب شيئا كثيرا فأوضحنا ما حضر منه إذ كان يجىء فى القرآن الظن يقينا وشكا ، والرجاء خوفا وطمعا وهو مشهور فى كلام العرب وضد الشىء خلافه وغيره ، فأردنا أن يكون ليرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال فإنهَّا لَكَبِيرَةٌ إلَّا على الخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ [١] مدح الشاكين فى لقاء ربهم

وإنما المعنى : يستيقنون . وكذلك فى صفة من أوتى كتابه بيمينه من أهل الجنة « هَآؤم اقْرءوا كِتَابِيَهْ إِنِّى ظَنَنْتُ [٢] . . . »

يريد إنىِّ أيقنت ولو كان شاكا لم يكن مؤمنا . وأما قوله قلتم ما ندرى ما السَّاعةُ إن نظن إلا ظنا فهؤلاء شكاك كفار [٣]

---

(٤) المرجع السابق صـ ١٣٨ .

(١) سورة البقرة (٤٥)

(٢) سورة الحاقة (٢٠) .

(٣) ابو حاتم السجستانى الأضداد ضمن ثلاثة كتب فى الأضداد للأصمعى والسجستانى وابن السكيت : تحقيق أوجست هفنز صـ ٧٢ ط/ ١ بيروت ١٩١٣ م .

أهمية كتاب الأضداد :

إذا كانت هناك دراسات قامت تتعلق باللفظ المفرد وصحة استعماله ، وصحة عربيته وصيغته كأدب الكاتب لابن قتيبة ، والفصيح لثعلب ؛ فإنه إلى جانب « هذه البحوث قامت بحوث أخرى تتعلق بالمعنى اللفظى أو المدلول وصلة اللفظ بالمعنى العام للعبارة . وهذا واضح فى كتب الأضداد للأصمعى وأبى حاتم وابن الأنبارى وغيرهم [٤]»

ونعود إلى كتاب الأضداد لأبى حاتم السجستانى ؛ فنرى أن ابن قتيبة قد تأثر به فى كتابه مشكل القرآن باب المقلوب ، ونقل عنه كثيرا ، وجاء « ابن الأنبارى فألف كتابه الجديد متأثرا بمحاولات سابقيه الأصمعى وأبى حاتم وابن قتيبة [١] . . . »

ونعود إلى ابن قتيبة تلميذ أبى حاتم فنراه متأثرا به فى كتابه المشكل يقول ابن قتيبة :

« ولليقين : ظَنٌّ . وللشكِّ : ظَنٌّ . لأن فى الظَّنِّ طرفاً من اليقين قال الله عز وجل : (قَالَ الذينَ يَظُنُّونَ أَنهُمْ مُلاقُوا اللهِ [٢]) ، أى يستيقنون

وكذلك : (إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ [٣]) ، (ورأى المجرمون النَّارَ فَظَنُّوا أَنهُمْ مُواقِعُوها [٤]) ، (إِنْ ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ [٥]) .

هذا كله فى معنى (اليقين [٦]) .

---

(٤) د / محمد زغلول سلام : أثر الإسلام فى تطور النقد العربى ٣٦/ ٣٧ ط/ ٣ القاهرة سنة ١٩٦٨

(١) أثر القرآن فى تطور النقد العربى صـ ١٧٤ ، صـ ١٧٥ .

(٢) سورة البقرة (٢٤٩)

(٣) سورة الحاقة (٢٠)

(٤) سورة الكهف (٥٣)

(٥) سورة البقرة (٢٣٠) .

(٦) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : شرح السيد احمد صقر صـ ١٨٧ ط / ٢ القاهرة سنة ١٩٧٣

ب ـ أشعار مفقود ضَمَّها كتاب الأضداد :

هناك أشعار للمتلمِّس الضُّبْعِى خلا منها ديوانه المطبوع . وكان كتاب الاضداد هو المرجع الأول ، وقد اعتمد عليه الأزهرى فى إيراده فى كتابه تهذيب اللغة [7] حيث يقول : « وقال أبو حاتم فى كتابه الأضداد : فلان بيضة البلد : إذا ذُمَّ ؛ أى قد أُفْرِدَ وَخُذِل فلانا صر له .
قال : وقد يقال ذلك فى المَدح ، وأنشد بيت المتلمس فى موضع الذَّمِّ . . . »

(وقال المتلمس « بسيط ») :

لكنَّـــهَ حَوْضُ من أودى بإخــوتــهِ رَيْبُ المَنــوُنِ فأضحى بيضَةَ البلد [8]

كما كان مصدرا لنص شعرى لم يرد ضمن ديوان « عبد الله بن الزبير الأسدى » وقـد وضعـه محقق الديوان تحت الشعر المنسوب إلى الشاعر وذلك ضمن أربعة أبيات ، أولها البيت الذى جاء به أبو حاتم فى الأضداد حيث يقول :

أبو حاتم : « وقال الأسدى : [الوافر] » :

أرى الحــاجــات عنــد أبى خبيب نَكِــدْنَ ولا أُمَــيَّةَ بالــبــلاد [1]

٢ ـ كتب الصيغ والأبنية :

فعل وأفعل أو فعلت وأفعلت :

من آثاره اللغوية المطبوعة هذا الكتاب الذى يقول فيه أبو حاتم « هذا كتاب فعل وأفعل :

قال أبو حاتم سهل بن محمد : هذا باب فعلت وأفعلت بمعنى واحد عن عبد الملك ابن قريب الأصمعى سالته عنه حرفا حرفا . وقال يقول أكثر العرب : كَنَنْتُ الدُّرَّةَ والجارية ، وكل شىء صُنْتَهُ ، فأنا أَكُنهُّا وأنا كَانٌّ وهى مَكْنُونَةٌ قال وكذلك كل شىء فى معنى الصَّوْنِ ، وأكننت الحديث ، والشىء فى نَفسى

(٧) تهذيب اللغة للأزهرى ١٢/ ٨٥ .

(٨) ديوان المتلمس الضبعى : تحقيق حسن كامل الصيرفى صـ ٢٨٢ ، صـ ٢٨٣ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٧٠ .

(١) الاضداد صـ ٧٩ ، وذكر محقق الديوان (فى البلاد) بدلا من (بالبلاد) .

شعر عبد الله بن الزبير الأسدى : جمع وتحقيق د/ يحيى الجبورى صـ ١٤٦ ، صـ ١٤٧ ط/ ١ العراق سنة ١٩٧٤

إذا أخفيته وهو مُكَنٌّ وأنا مُكِنٌّ ، وفى القرآن قول الله عز وجل :

« كَأَنهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ [٢] » ، من كَنَنْتُ ، وقال تبارك وتعالى فى موضع آخر أَوْ أَكْنَنتُمْ فى أَنْفُسِكُمْ [٣] » ، وقال جَلَّ ثناؤه : « وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وما يُعْلِنُون [٤] » .

وسمعت أبا زيد يقول : « أهل نجد يقولون أَكْنَنْتُ اللؤلؤة والجارية فهى مَكَنَّةٌ . وَكَنَنْتُ الحديث [٥] »

٣ ـ كتب الظواهر اللغوية :

من هذه الآثار (المذكر والمؤنث ، أو التذكير والتأنيث :

ومن آثاره اللغوية المطبوعة ـ ويدور عن المذكر والمؤنث : كتابان كبير ومختصر) . وطبع المختصر أول مرة بتحقيق ابراهيم السامرائى فى مجلة رسالة الإسلام فى بغداد سنة ١٩٦٩ . ثم حققته ابتسام مرهون الصَّفَّار ، ونشرته فى مجلة البلاغ فى بغداد عام ٧١ /٧٢ .

أما الكبير فنسخته المخطوطة فريدة لا ثانى لها . وهى مخطوطة فى مكتبة يوسف أغا فى قونية بتركيا ، فرغ من تحقيقها : نهاد جتن ولما يطبع [١] »

ورأيت أن أطلع القارىء على ما تضمنه هذا الكتاب من مادة علمية جاءتنا من بعيد ، لأنه لم يتيسر لى الحصول على المطبوع من هذا الأثر اللغوى .

يقول النووى فى تهذيب الأسماء واللغات تحت مادة (سرل)

---

(٢) سورة الطور ٢٤ (٣) سورة البقرة (٢٣٥)

(٣) سورة القصص ٦٩ .

(٤) المخصص حـ ١٤ صـ ٢٨٠ . وينظر (أبو حاتم السجستانى : فعلت وأفعلت تحقيق : خلَيل إبراهيم العطية جامعة البصرة سنة ١٩٧٩ . والجزء المسطر فى اعلى الصفحة من مخطوطة هذا الكتاب وهى ضمن رسالة ماجستير قُدِّمت لكلية الآداب جامعة عين شمس سنة ١٩٦٩ : وموضوعها : « التعدِّى واللزوم فى اللغة مع تحقيق فعلت وأفعلت لأبى حاتم السجستانى [صـ ١٩٠ ورقم الرسالة ١٦٦٨٩]

(١) د/ محمد حسين آل ياسين : حركة التأليف اللغوى فى القرن الثالث الهجرى (المورد العراقية صـ ٢٥٨ م ٩ عدد ٤/ ١٩٨١) .

(. . وقـال أبو حاتم السجستانى فى كتابه المذكر والمؤنث : السراويل مؤنثة لا يذكرها من علسناه . قال وبعض العرب يظن السراويل جماعة . قال وسمعت من الأعراب من يقول الشراويل بالشين يعنى المعجمة [٢] »

(٢) أبو زكريا النووى : تهذيب الأسماء واللغات حـ ٣ صـ ١٤٩ ط/ ١ القاهرة .

الباب الثانى

الفصل الثالث

اثاره الأدبية

إن جهـود أبى حاتم السجستـانى الأدبية تجل عن الحصر ، فله جهود أدبية فى مروياتـه عن الشيوخ الثقـات . ونذكر منهم على سبيل المثال : الأصمعى وأبا عبيدة . وقد حفلت كتب التراث بالعديد من هذه الآراء . ولكن نريد هنا أن نركز على آثاره الأدبية المنسوبة اليه .

ونقول ابتداء إن هذا الرجل أثرً فى الحياة الثقافية فى القرن الثالث الهجرى . وكان وثيق الصلة بها ؛ ذلك لأنه كان من الورَّاقين ، يتجر فى الكتب . فالكتاب قد تَقَلَّبَ فى يديه قارئا له ومتاجراً فيه . فالمعرفة مساقة إليه أخذا وعطاء . فإسهامه فى دفع حركة التأليف والترجمة والنشر فى هذا القرن يجب أن تكون محل نظر .

وعليه فتراثه الفكرى المتنوع بين الدرس القرآنى والأدبى ، واللغوى والرواية والتـاريخ ؛ كل ذلـك مصـدره نبع غزير فيَّاض . ويكفى مثلا أن نعرفه راوية للشـيوخ أبى زيد والأصمعى وأبى عبيدة . وإن كنت قد أشرت إلى نماذج من مروياته عنهم عندما تعرضت لتراجمهم فى الباب الأول من هذا البحث .

وأعود فأقول إن هذا العالِم القارىء اللغوى الأديب المؤرخ كان يرصد الحركة الأدبية فى قرنه ، ويكشف عن التَّيار الأدبى قبل عصره .

من ذلك ما جاء فى خزانة الأدب للبغدادى حكاية عن الأصمعى ، ومسجلا وجهة نظره أو مضيفا إلى رأى شيخه .

يقول الأصمعى عن شاهد سيبويه الثانى عشر بعد الأربعمائة

تعـلمـن هالـعـمـر الـله ذاقسـما   فأقـدِرْ بذرعـك وانـظر أين تنسلك

يقـول البغدادى : (. . . والبيت من قصيدة لزهير بن أبى سُلمى عدتها ثلاثة وثلاثون بيتا ، قال الاصمعى ليس فى الارض قصيدة على الكاف أجود من قصيدة

زهير التى مطلعها :

بان الخـليط ولم يأووا لمن تركـوا　　　وزوَّدوكَ اشـتـياقـا أيَّةً سَلَكـوُا

وقال أبو حاتم :

« فلما أتت القصيدة الحارث بن ورقاء لم يلتفت إليها ؛ فقال زهير :

تَعَـلَّـمْ أنَّ شـرَّ الـنَّـاسِ حَـيٌّ　　　يُنـادى فى شِعـارهـم يَسَـارُ

. . . . الخ

وقال أبو حاتم : فلما بلغتهم الأبيات قالوا للحارث بن ورقاء : اقتل يسارا فأبى عليهم ، وكساه وأحسن اليه ، وَرَدَّه مع الإبل إلى زهير فمدحه زهير بعد ذلك : : »[1] .

بقصيدته الرائية ومطلعها .

أبـلغ بنى نوفـل عنى فقـد بلغت　　　منـى الحـفـيظة لما جاءنى الخـبر[2]

ومن تفسيراته الأدبية التى جاء بها ابن الشجرى تعقيبا على قول الحطيئة فى قصيدته التى أولها :

ألا قالـت أُمَـامَـةُ هَلْ تَعَـزَّى　　　فقـلـت أُمَـامَ قد غُلِبَ الـعَـزَاءُ

إلى أن وصل إلى البيت الثالث والأربعين والذى يقول فيه :

فلما أن دعـوتُ لها بغـيضـا　　　أتـانـى حين أسْـمـعُـهُ الـنِّـداءُ

قال أبو حاتم : هذا آخرها :

ويقول ابن الشجرى : وفى كتاب حماد الراوية زيادة فى هذا الموضع بيتان ؛ قال أبو حاتم : مصنوعان مردودان .

---

(١) خزانة الأدب للبغدادى (تحقيق عبد السلام هارون حـ ٥ صـ ٤٥٣ ـ ٤٥٨ ط / ٢ القاهرة سنة ١٩٧٧ .

(٢) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى ص ٣٠٥ ط ١ دار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٩٤٤ .

٤٤ - بزاخـر نائـل سَبطٍ ومَجْـدٍ ... يُخالِـطُه الـعَـفَـافَـةُ والحْـياءُ
٤٥ - وأمـضـى من سنـان أزْأنـىٍّ ... طعـنـتُ به إذاكُـرةَ المـضـاءُ[1]

فأبو حاتم هنا أديب ناقد راوية ، يكشف لنا بحسِّه الأدبى عن وجه الصَّنْعة التى لحقت بشعر الحطيئة ، وكاشفا فى الوقت نفسه عن صنع حماد الراوية وما ألحقه بشعرنا القديم فهو لم يكتف بقوله بأنه مصنوع ، بل قال : « مصنوعان مردودان » .

بل مضى أبو حاتم يتعقب الشعر المنحول الذى نحله حماد لشعرائنا القدامى من ذلك أيضا . لما قال الحطيئة يمدح بغيضا فى قصيدته التى أولها .

آثـرت إدْلاجـي على ليل حُرَّةٍ ... هَضِيم الحشـا حُسَّـانَـةِ المجَـرَّد

إلى أن وصل إلى قوله :

٢١ - وَتَرْمِى بِدَاهـا بالحصى خَلْف رِجْلها ... وَتَـرْمِى به الـرِّجْـلاَنِ دَابِـرةَ الْيَدِ

يقول ابن الشجرى :

« يقول السجستانى : وفى كتاب حماد الراوية زيادة بعد هذا البيت أربعة أبيات كتبتها ليعرف المصنوع . وهى :

٢٢ - وتشرب بالـقـعب الصغـير وإن تُقَـدْ ... بمشْفـرِهـا يومـا إلى الحـوض تَنْقَـدِ
٢٣ - وإن حُطَّ عنهـا الـرَّحْـل قارب خطوها ... أَمِـينُ القـوى كالـدُّمْلجُ المتَعَضَّـد
٢٤ - تراقب عيناها إذا تلع الضُّحَا ... ذُبَـابـاً كصـوت الشَّـارب المتغـرِّدِ
٢٥ - وَتُضْحى الجبـالُ الغُـبرْ خلفى كَأَنهَا ... مِنَ الآلِ حُفَّـتْ بالْمُـلاَءِ المُعَضَّـد

.... هذا آخر الزيادة »[2]

---

(١) ، (٢) ابن الشجرى : مختارات شعراء العرب : (تحقيق : على محمد البجاوى صـ ٤٣٨ - صـ ٤٤١ ط / ١ القاهرة سنة ١٩٧٥

وأما عن الحركة الأدبية فقد وقف راصدا لحركتها وانطلاقها ؛ فتكلم عنها فى صدر الاسلام ؛ جاء ذلك فى الخزانة لما استشهد ببيت الفرزدق الذى يقول فيه :

ومـا مثـله فى النـاس الا مملكـا أبـو أمـه حى أبـوه يقـاربـه

يقـول البغدادى : « وقال أبو محمد بن الخشاب » فى كتابه الموضوع لجوابه المسـائل السِّت الاسكندرية) : إنَّ أبا حاتم السجستانى قال : ليس الفرزدق أهلا لأن يستشهد بشعره على كتاب الله ، لما فيه من التعجرف . . . [1]

فتعليق أبى حاتم هذا يكشف عن نفس فنان مرهف الحس ، وأديب يتذوق العمل الجيد ، كيف لا وهو شاعر غواص يستخرج المعمى كما يقول عنه المبرد .

وإذا تكلمنا عن العصر الأموى نراه يدلى بشهادته فى قضية الحكم بن عبدل وقصيدته التى أنشدها فى محضر الحجاج . نرى أبا على القالى يقول :

« وحدثنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله قال حدثنى أبى قال حدثنا احمد بن عبيد عن سهل بن محمد قال : اجتمع الشعراء بباب الحجاج وفيهم الحكم بن عبدل الأسـدى فقـالوا : أصلح الله الأمير ، إنما شحر هذا فى الفأر وما أشبهه ، قال ما يقول هؤلاء يا ابن عبدل ؟ قال : اسمعْ أيها الأمير قال : هات ، فأنشده :

وَإنـى لاسْـتـغْـنِى فما أبـطر الغنى وأعرض ميسورى لمن يبتغى عرضى
ولست بذى وَجْهَـيْنِ فيمن عَرَفْتُـه ولا البَـخْـلُ فاعْـلَمْ من سَمائى ولا أرضى

قال : فلما سمع الحجاج هذا البيت :

« ولست بذى وجهين فيمن عرفته »

« فَضَّله على الشعراء بجائزة ألف درهم فى كل مرة يعطيهم »[2]

كما حدثنـا عن الحـركة الأدبية فى القرن الثانى الهجرى : جاء ذلك فى الموشح

---

(١) خزانة الأدب صـ ٥ صـ ١٤٦ .

(٢) أبو على القالى : الأمالى ، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعى حـ ٢ / ٢٩٠ ط /١ القاهرة سنة ١٩٧٥

للمرزبانى حيث يقول :

« حدثنى على بن أبى عبد الله الفارسى ، قال : أخبرنى أبى ، قال : حدثنى على ابن مهـدى ، قال : حدثنى أبوحاتم السجستانى ، قال : لقى ابن مناذر أبا العتاهية ، فقال له أبو العتاهية : كم تقول فى اليوم ؟ قال : ربما قلت العشرين وأكثر وربما أقول خمسة أوستة . فقال له أبو العتاهية : لكنى لو أشاء أن أقول ألف بيت لقلت . . فقال ابن مناذر لأبى العتاهية : أنا أقول مثل قولى :

هَلْ لشــىء فات من مَرْدُود أوْ لِحَىٍّ مُؤَمَّـلٍ من خلودِ

حتى أنشده القصيدة - وأنت تقول :

ألا ياعُـتْـبَـةَ الســاعَـهْ أمـوت الســاعـة الســاعَــهْ

وتقول :

إن الـدُّنْـيـا قـد غَرَّتْـنـا واسْـتَـغْـلَتْـنـا واسْـتـلْهـتَـنْـا

لسـنـا نَـدْرِى مافَـرَّطـنـا فيهـا إلا ما قدَّمْـنـا

ولو رضيتُ أن أقول مِثْلَ هذا لأكثرت . . »[1]

فالرجل فنان بطبعه ، لديه قدرة على نقد الرجال ، وأنه يستهويه العمل الجيد ، فليست الكثرة معيار تفوق ، ولكنه العمل الأصيل الذى يقدم غذاء فكريا ويسبح بالمرء محلقا به فى آفاق عالية .

ويعزز رأيى هذا ما جاء به المرزبانى : حيث يقول :

« وأخبرنى محمد بن يحى ، قال : حدثنى محمد بن العباس عن أبى حاتم السجستانى قال : أنشد رجل ابن مناذر قصيدة . فجعل يقول : غفر الله لك ! غفر الله لك ! فلما فرغ قال : رُدَّها على شيطانك لايمتنّ بها عليك »[2]

---

(١) المرزبانى : الموشح : ت / على محمد البجارى صـ ٣٩٨ ط /١ القاهرة سنة ١٩٦٥

(٢) المرجع السابق ص ٥٥٣

كما أن التاريخ الأدبى مدين له بما حفظه لنا من آثار الأقدمين وآرائهم فى نقد الشعر :

جاء فى الموشح : « أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيد قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال : حدثنى رجل من أصحاب المدائنى ، قال : جاء رجل إلى العَتَّابى ، فقال له : ماأردت بقولك :

فى ناظِرَىَّ انقباض عن جفونهما ... وفى الجفون عن الآماق تقصير

فقال : أمتعَلِّمٌ أنت أم متعنت . قال : بل متعنت ! قال : لا أدرى ! قال أفتقول مالاتدرى ؟ وألَحَّ عليه بالسؤال ، فقال : أردت أن أحكى قول بشار :

جَفتْ عَيْنى عن التَّغْماض حَتَّى ... كَأَنَّ جفونَها عنها قِصَار
يُرَوِّعُه السِّرَارُ بكل فَجٍّ ... مَخَافَةَ أنْ يكون به السِّرَارُ

فلم يتهيأ أن أُلْحِق هذا القول . قال : فصار الرجل إلى بشار ، فقال : قُلْتَ أحسن بيت ثم أفسدته بالبيت الثانى ـ وأنشده البيتين . فقال بشار أردت أن أُلْحِق قول المجنون :

كَأَنَّ القلب ليلة قيل يُغدى ... بليلى العامرية ، أو يراح
قَطَاةٌ غَرَّها شرَكٌ ، فباتَتْ ... تُجاذِبُه ، وقد علق الجناح[1]

كما تكلم عن الحكماء وأقوالهم من ذلك ما جاء فى الأمالى :

يقول القالى : « وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى قال : قال عامر بن الظرب العَدْوانى : يا معَشرْ عَدْوان ، الخير أُلُوف عَرُوف ، وإنه لَن يُفارق صاحبه حتى يفارقه ، وإنى لم أكن حكيما حتى صَاحَبْتُ الحكماء ، ولم أكنَ سيدكم حتى تَعَبَّدْت لكم »[2]

---

(١) المرجع السابق صـ ٣٨٩

(٢) الأمالى صـ ٢ صـ ١٧٦

وإذا كان لنا أن نتكلم عن دوره فى الرواية الأدبية والتاريخية فإنا نقول إنه بمروياته الأدبية والتاريخية عن الشيوخ قد حفظ لنا هذا التراث الأدبى التاريخى ونقدم نموذجا لكل من ذلك ما جاء به شارح الديوان لأبى داود تعقيبات على قول المثقب العبدى الذى يقول فيه :

يُصيخ للنَّبْأَةِ أسْماعَهُ ... إصاخةَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ

يقول أبو داود :

ويصيخ أحيانا كما استمع المضُل لصوت ناشدْ

قال الأصمعى مثله ، أى ليتعَدَّى به كما يقول : الثُّكْلى تحب الثُّكْلى . . [3]

وقال البكرى فى (اللالىء) : « وقد زعم أبو عبيد أنه يقال : « أنشدت الضالة أى عَرَّفتها » ، واستشهد على ذلك بقول »

ويصخ أحيانا كما استمع المضِلّ لصوتِ نَاشِدْ

ولم يُجَامَعْ على ذلك . قال أبو حاتم : سألت الأصمعى عن بيت أبى داود وقلت :

أليس الناشد هو المضل ؟ فقال : هذا كقولهم الثَّكلى كأنه يسمع صوتا فيتأسَّى به وهو معنى قول الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولى ... على إخوانهم لقتلتُ نفسى »[1]

وأما عن الخبر الأدبى التاريخى :

من ذلك ما جاء به الأعلم فى شرحه لديوان النابغة (رواية الأصمعى) عن زرقاء اليمامة (. . . وحكى عن الأصمعى أنه سمع قوما من أهل البادية يحدثون أن بنت الخُسّ كانت قاعدة فى جوار فمرَّ بها قطا واردة فى مضيق من الجبل .

---

(3) ديوان المثقب العبدى ، تحقيق وشرح / حسن كامل المصرفى صـ ٤٢ ، صـ ٤٣ ط / ١ القاهرة سنة ١٩٧١

(1) أبو عبيد البكرى : سمط اللالئ تحقيق عبدالعزيز اليمنى صـ١ صـ ١٤٥ ط / ١ القاهرة سنة ١٩٣٦

فقالت :

ياليت ذا القطا لنا ومثل نصفه معه
إلى قطاة أهلنا إذا لنا قطاً ميَهْ

« وحكى عن أبى عبيدة أن هذه زرقاء اليمامة . . . »

« وذكر أبو حاتم أيضا أنها زرقاء اليمامة ، وأنها قالت :

٣٣ ـ يحفه جانبا نيق وتُتْبِعُهُ مثلَ الزُّجَاجَةِ لم تُكْحَلْ مِن الرَّمد
٣٤ ـ قالت : الا لَيْتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فَقَدِ
٣٥ ـ فحَسَّبُوه فألفوه كما حَسَبَتْ تِسْعاً وتسعين ولم تنقص ولم تزد[1]

من آثاره الأدبية :

كتاب المعمرين والوصايا :

هذا أثر خالد من آثاره الأدبية الرائعة ، والتى أفلتت من قبضة الضياع وصاولت الزمن حتى وصلت إلينا . وقد نشر هذا العمل محققا الاستاذ عبدالمنعم عامر[2] . وقام فيه بجهد كبير لتوثيقه وتحقيق نسبته الى أبى حاتم ، كما أنه تكلم عن راويه عن أبى حاتم وهو أبو روق وعن دوره فى الكتاب كاشفا عن منهج أبى حاتم فى كتابه المعمرين والوصايا .

ولكن وجدت نفسى أمام دراسة نفسية على مستوى راقٍ ، استطاع أبو حاتم أن يغوص فى اعماق النفس الانسانية واستخلص منها عبرا ، كاشفا من خلالها عن القلق النفسى الذى يعتور الكبير . ولكن أرانى أمام تجربة أو ترجمة أو سيرة ذاتية لأبى حاتم . لأنه بلغ من العمر تسعين عاما . فهل كانت هذه المادة المسطورة ترجمة لمشاعر مكبوتة ؟

نعم إن عنصر القلق باد ، والنرعة المتشائمة ألقت بظلالها الكثيفة على

---

(١) ديوان النابغة الذبيانى ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم صـ ٢٣ ، صـ٢٤ ط / ١ القاهرة سنة ١٩٧٧

(٢) أبو حاتم السجستانى : المعمرون والوصايا تحقيق عبدالمنعم عامر ط / ١ القاهرة سنة سنة ١٩٦١

البحث . ولم تغب عنه روح أبى حاتم المرحة الفكهة . فهل هذا الكتاب فلسفة الشيخ فى نظرته للحياة ؟

أراه كذلك وساقدم للقارىء بعض انطباعته عن المعمرين ووصاياهم لأذهب لبيان ما أهدف إليه وهو القيمة العلمية لهذا الكتاب وأثره فى الحركة الأدبية .

ولعل السكون بعد الحركة ، والقعود بعد الانطلاق ، وملازمة الدور كل ذلك سبب ضيقا نفسيا للمعمَّرين . أضف إلى ذلك أن حركتهم غدت مقيدة وأنهم يعاملون كالأطفال خشية أن يصيبهم مكروه لو خرجوا بمفردهم .

يقول أبو حاتم : قالوا وعاش مصاد بن جناب بن مُرَارة من بنى عمرو بن يربوع ابن حنظلة بن زيد مناة أربعين ومائة سنة ، وقال :

مارَغْبَتى فى آخـر العيش بعـدما ... أكـونُ رقـيب البيت لاأتـغـيَّبُ
اذا ماأردتُ أنْ أقـوم لحاجـة ... يقـول رقيبٌ حافظٌ ، أين تذهبُ ؟
فيرْجِـعُـه المُـرْمَى به عن سبيله ... كما رَدَّ فرخ الـطائـر المـتـربِّـبُ[1]

بل قدم أبو حاتم تصويرا نفسيا بارعا ، صَوَّر فيه القلق النفسى حيال الكبير وأنهم تمنوا موته ليريحهم ! ! ولكن لكل أجل كتاب ! !

فهذا مسافع بن عبد العُزَّى الضَّمْرىّ والذى عاش ستين ومائة سنة يقول حين ضجر به أهله :

لَعَمْـرُكُـما لوْ يسمـعُ المـوتُ قدأتى ... لِداعٍ عَلىَ بَرْءٍ خَفَـتْـهُ الـعَـوائِـدُ
بِهِ سَقَـمٌ مِنْ كلِّ سُقـمٍ وَخَبْـطَةٍ ... مِنَ الدَّهْر أصْغَى غُصْنَهُ فَهْو سَاجِدُ
إذَا مَرَّ نَعْشٌ قيل نَعْشُ مُسَـافِـعٍ ... ألا لا يُودِّى لوْ بنـى لِىَ لأحـدُ
يَظنُّـون أنِّـى بَعْـدُ أوَّل مَيِّتٍ ... فَأبْقَى ، وَيمضْى وَاحِـدٌ ثُمَّ واحِـدُ
فقـالـوا له لما رأوا طولَ عُمْـرِهِ ... تَأتَّ لِدَار الخُـلْدِ ، إنَّـكَ خَالِـدُ
غِضَـابٌ عَلىَّ أنْ بَقَـيتُ وَإنَّـنـى ... يُودِى الَّـذى يهْوَونَ لو أنـا واجِـدُ

(أضمر الهاء . يقول لو أنا واجده) .

---

(١) كتاب المعمرون والوصايا صـ ٣٠

فهذا تعبير عن مرحلة القلق والصراع النفسى ، وأرى أن أبا حاتم قد بلغ القمة فى تحليله للنفس الانسانية ونوازعها ، فكشف عن القلق المشوب بالامل وأن الحياة رغم مافيها ، ممتعة ومعشوقة ، لأن الانسان يحب الحياة .

والموت حد للحياة . فهذا ابن حُمَمَة الدَّوْسى يَبلغ اليأس منه مداه وفى لحظة تبرق الحياة ببريق الأمل أمام عينيه فيؤمل أن يخلد فيها ، ثم تصحو نفسه على الحقيقة المرة أن لكل شىء نهاية ، وأن العمر مهما طال سيصر إلى مصير محتوم .

يقول أبو حاتم :

« قالوا : وعاش ابن حُمَمه الدَّوْسى ، واسمه كعب ، أو عمرو ، أربعمائه سنة غير عشر سنين ، وقال :

كَبِرْتُ ، وَطَالَ العُمْـرُ حَتَّىٰ كَأَنَّنى ... سَلِيمُ أفـاعِـى ، ليله غَيرُ مُودَعِ

فَما المـوتُ أفْنـاني ولكنْ تتـابَعَتْ ... عَلَّ سنـونَ من مَصِيفٍ وَمَـرْبَـعِ

ثلاثُ مئـين قد مررنَ كَوَامِلاً ... وهـانـذا أرْتجِـى مَرَّ أربـعِ

وأصبحت مثْـلَ النَّسرْ طارتْ فِرَاخُهُ ... إذا رام تَطْياراً يَقُـلْنَ له قعِ

أُخَـبرُ أخْبَارَ القُـرون التِّى مَضَتْ ... ولابُـدَّ يومـاً أنْ يُطارَ بمَصرَعِى[1]

فرأيت أنَّ أبـا حاتم السجستـانى قد عالـج مشكلة القلق النفسى والتوتر العصبى المصاحب لمرحلة الكبر والشيخوخة فى كتابه المعمرين ، ورأيته كذلك قد عالج مشكلة الأخلاق والسلوك فى القسم الثانى (الوصايا) .

فإنه قدم من خلالها نماذج تراوحت بين العصر الجاهلى والأموى وتحمل فى طياتها قواعد أخلاقية تحمل صاحبها على التمسك بالاخلاق والفضيلة ، علما بأنه فى القسم الأول من المعمرين والوصايا ، وردت فيه وصايا تحض على الشر وتنزع بالمرء منزع سوء[2] .

---

(١) كتاب المعمرين والوصايا صـ ٢٨ ، صـ ٢٩

(٢) كتاب المعمرين والوصايا صـ ٢٥ ، صـ ٢٦

ولكن سنشير هنا إلى نموذج فاضل ونصيحة قيمة ووصية نافعة

قال أبو حاتم : « قالوا : وأوصى الأحوص الكلبى ثم من بنى عبد وَدّ ، فقال :

« ياعشيرتاه ، إن الرأى الرأى اليوم ، أوصيكم بشكر ذى النعمة ، والغيرةُ على الحرم ، والتمسك بالحسبَ ، ولا ترضوا بالدَّنيَّةِ ، ففيها البلية وضياع العلم ، وذهاب المهج ، الموت فى الغدر خير من الحياة فى القسرِ والفرج مع الصبر . وَلْيُحَيِّكم ربكم »[1]

ويبدو لى أنه رغم عوامل القلق التى كانت تعتمل فى نفس أبى حاتم لتقدُّم العمر إلا أن روحه المرحة لم تفارقه رغم هذه السحب والغيوم التى كانت تبدو فى أفق حياته .

فهذه وصية الحطيئة ، فيها السخرية والتهكم ، يرويها أبو حاتم كاشفا عن روحه المرحة الفكهة :

يقول أبو حاتم : « قالوا : لما حضر الحطيئة الوفاة قيل له ، أوْصِه .

قال : وَيْلٌ للشِّعْر من راوية السوء .

قيل : أوْصِه .

قال : أخبروا آل شماخ بن ضرار أنه أشعر العرب .

قالوا : أوْصِه .

قال : بماذا ؟

قالوا : فى مالك ، فإنه كثير .

---

(١) كتاب المعمرين والوصايا صـ ١٢٨

قال : هو لذكور ولدى دون النساء .

قالوا : ليس كذلك قال الله عز وجل .

قال : لكن أنا أقوله .

قالوا : أوْصِه .

قال : بماذا ؟

قالوا : عبدك هذا قد طالت صحبته .

قال : اشهدوا أنه عبد مابقى على الارض عَبْسِيٌّ .

ثم قال : احملونى على حمار ؛ فانه بلغنى أن الكريم لا يموت على حمار فحمل عليه فمات[1] ومن خير الوصايا الجامعة ما نصح به سيدنا على رضى الله عنه وكرم الله وجهه بنيه عقب اعتداء ابن ملجم عليه .

« أوصيكما بتقوى الله ، ولاتبغيا الدنيا ، وإنْ بغتكما ، ولاتبكيا على شىء منها زُوِىَ عنكما ، قولا الحق ، وارْحما اليتيم ، وأعينا الضائع ، وأضيفا الجائع ، وكونا للظالم خصما ، وللمظلوم عونا ، ولا تأخذكما فى الله لومة لائم . . »[2]

ونعود فنقول إن كتاب المعمرين لأبى حاتم كان « أسبق الكتب المعروفة التى تناولت مادتها طرفا من المعمرين وأخبارهم ؛ فإن الكتاب يعتبر من ناحية أخرى أوفى الكتب فى الاحاطة بأخبار المعمرين ؛ بل إنه يمثل الكتاب الأم الذى فتح البـاب أمام المؤلفين اللاحقين لابى حاتم لأن يكتبوا فى هذا اللون من التأليف الأدبى مثال (الغرر والدرر » لعلى المرتضى ، وكتاب محاضرات الأدباء للراغب

---

(١) كتاب المعمرين والوصايا ، صـ ١٣٤ ، صـ ١٣٥

(٢) كتاب المعمرين والوصايا ، صـ ١٥٠

الأصفهانى ، وكتاب « التذكرة) لمحمد بن الحسن بن حمدان ، وكتاب المستطرف فى كل فن مستظرف للابشيهى ، وغيرهم أمثال أبى الحجاج يوسف البلوى ، وأبى الفرج بن الجوزى .

فلقد عقد هؤلاء المؤلفون وغيرهم فصولا فى كتبهم ، تناولوا فيها ذكر المعمرين وأخبارهم فى تراجم قصيرة لاتصل إلى عمل أبى حاتم فى وفايته وجاء من بعدهم خلف ، عنوا بهذا اللون من التبويب فى كتبهم على مر الأجيال وكانت لهم مذاهب أخرى فى الجمع لأخبار المعمرين ، وسردها فى طبقات تمثل المعمرين من ذوى المذاهب والطوائف والحرف وغيرهم . . »[1] وإذا نظرنا فى المستطرف فى كل فن مستظرف نراه جاء فى الباب الثامن والأربعين فى الفصل الرابع : فى أخبار المعمرين فى الجاهليين والاسلام فإن ماجاء فيه لا يعادل صفحة مما جاء به أبو حاتم فى المعمرين والوصايا ابتدأء الأبشيهى حديثه : بقول الحسن رضى الله عنه ، ثم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بخياركم ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال أطولكم أعمارا فى الاسلام إذا سَدَّدُوا » ثم تكلم عن الفزارى من من المعمرين ، ثم جاء بما قاله ابن الجوزى عن عمر آدم الذى عاش ألف سنة ، وعمر أبنائه ، ثم عاد إلى الكلام عن حكماء العرب فى الجاهلية ومن منهم أدرك الاسلام : يقول :

ومن المعمرين عبد المسيح بن نُفَيْلة عاش ثلاثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام »[2]

---

(١) مقدمة المعمرين ص ف ، ص .

(٢) شهاب الدين بن محمد الابشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف ، تحقيق عبدالله انيس الطباع جـ ١ صـ ٢٨٠ ، صـ ٢٨١ ط / ١ بيروت سنة ١٩٨١ .

وإذا رجعنا إلى كتاب محاضرات الراغب الأصفهانى ، نراه فى الجزء الثانى تحت الحد السابع عشر فى خلق الأنسان نراه أيضا لم يتجاوز ما كتبه صفحة بالقياس إلى المعمرين لأبى حاتم .

فقد ابتدأ حديثه بقوله : عاش نوح ألف سنة وأربعمائة وخمسين سنة بعث بعد مأتى سنة ولبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وبقى بعد الطوفان مائتى سنة وخمسين سنة ، فلما أتاه ملك الموت قال له : كيف رأيت الدنيا ؟ قال كدار لها بابان ، دخلت من هذا وخرجت من هذا . . [1] .

ثم تكلم عن لقمان ومعدى كرب الحميرى ، ثم تطرق إلى الكلام عن عقلاء العرب وحكمائهم فى الجاهلية ومن أدرك منهم الاسلام كدريد بن الصِّمَّة . ثم تكلم عن عبيد الجرهمى مع معاوية رضى الله عنه . . ثم انتقل بعد هذا إلى حديثه عن خرافة عمر الضب ، ثم منه إلى حديثه عن الترغيب فى الاختضاب والرغبة فيه .

وكل النصوص الشعرية الواردة فيه .

لاتذكر بالقياس إلى النصوص الشعرية الوفيرة فى المعمرين لأبى حاتم هذا وكتاب المعمرين لابى حاتم معرض للشعر فى الجاهلية والاسلام كما أنه كان مصدرا هاما لكثير من الأشعار المفقوده . .

وعلى الجملة فإذا كان هناك من المعمرين الذين يذكرهم أبو حاتم وآخرين لم يذكرهم ؛ فإن لأبى حاتم السبق فى أن فتح هذا الباب أمام اللاحقين ليكتبوا فيه ، وأن يستدركوا عليه ما فاته .

ولعل أول من استفاد من جهد أبى حاتم (المبرد) فأشار إلى المعمَّرين فى كتابه

---

(١) الراغب الأصفهانى : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء صـ ٢ صـ ١٤٩ ، صـ ١٥٠ ط /١ القاهرة . سنة ١٣٢٦ هـ .

الفاضل .

القيمة العلمية لكتاب المعمرين والوصايا :

ترجع قيمة هذا الكتاب . . فى نظرى ـ ألى أنه يعد مصدرا هاما لكثير من الأشعار المفقودة والتى لم تتضمنها دووابن أصحابها منها :

يقول عبيد بن الايرص :

فنِيتُ وأفنــانى الــزمـان وَأَصْبَحتْ ... لِدَاتى بَنُــو نَعْش وَزُهْــرُ الفَـراقِد[1]

كما أنه كان المصدر الوحيد لنص مفقود من ديوان الشاعر :

قال ابو حاتم : « قالوا : وعاش عبيد بن الأبرص الأسدى الشاعر من بنى سعد ابن ثعلبة بن دودان بن أسد مائتى سنة وعشرين سنة ويقال ، بل ثلاثمائة سنة :

وقال فى ذلك « هذه القصيدة ، ونقل عنه صاحب الخزانة الخبر ؛ والمقطوعة تحاول أن تؤكد عمر عبيد الطويل ، ومعاصرته للأحداث القديمة . ويشك فيها الباحثون شكا قويا ، كما يشكون فى كل أخبار كتاب المعمرين » .

وإنى اتفق مع الدكتور حسين نصار فيما ذهب إليه ، لأنه لاتوجد سجلات تدون فيها تواريخ الميلاد بل مرجعه إلى الظن والتخمين ، أوربطه بحادثة وقعت ولكن الزمن متفاوت ، وإذا طال العمر الى مائتى سنة فهذه حالة نادرة بالنظر إلى قياس أعمار الجاهليين الأقدمين .

ونعود فنقول . إن كتاب المعمرين كان المصدر لهذه القصيدة التى يقول فيها عبيد بن الأبرص .

وَلَــتَــأْتِــينْ بَعْــدِى قرونٌ جمَّةٌ ... تَرْعـى مَخَارِمَ أَيْكَـةٍ وَلُــدُوداَ

فالـشـمس طالِعَــةٌ ، وَلَيْلٌ كاسِفٌ ... والـنَّـجْـمُ يجَرى أنْحُســاً وَسُعُــودَا

---

(١) المعمرين صـ ٧٦ ، ديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق وشرح د / حسين نصار صـ ٥١ ط / ١ القاهرة سنة ١٩٥٧ .

حتـى يقـالَ لِمَنْ تَعَـرَّقَ دَهْـرُهُ	ياذا الـزَّمَـانَـةِ هل رأيتَ عبـيدا
مائَـتَـيْ زَمَـانٍ كَامِـلٍ وَنَـضيَّةٍ	عِشرْينَ عَشْـتُ مُعَـمَّـراً محمـودا
أدركـتُ أوَّلَ مُلْكِ نَصرٍّنـا شئـاً	وبِـنَـاءَ شَدَّادٍ وكـان أبـيداً
وطَـلَبْتُ ذا القـرنـين حتَّى فاتني	رَكْـضَـا وَكِـدْتُ بأنْ أرَى داودا
ومـا تُبْـتَغي من بعـدَ هذا عيشَـةً	إلا الخـلودَ ، ولـن ينـالَ خلودا
وَلَـيفْـنَـيَنْ هذا وذاك كلاهمـا	إلا الإلـه ووجـهـه المعبـودا »[1]

وجاء أيضا بأشعار فاقدة لابن قميئة ولم يتضمنها ديوانه من ذلك :

(وقال عمرو بن قميئة السدوسي [طويل] :

فأصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسرْ طَارَتْ فِرَاخُهُ إذا رام تَطْيَارا يقـال له : قَعِ[2]

(فهذا البيت أحد خمسة ذكرها أبوحاتم السجستانى فى كتاب (المعمرون) لابن حممة الدوسى) قال أبو حاتم : قالوا وعاش ابن حممة الدَّوْسِى ، واسمه كعب أو عمرو ، اربعمائة سنة غير عشر سنين ، فقال :

كبرْتُ ، وطـال العمْر حتى كأنَّنى سليم أفـاعٍ ، ليله غير مودع[3]

هذا وقد اعتمد عليه الحريرى فى درة الغواص فى أوهام الخواص ، فى تصحيح معرفة قائل هذا الشعر الذى تمثل به عبيد بن شرية فى محضر معاوية بن أبى سفيان والذى يقول فيه

ياقلب إنك من أسماء مَغْرور
فإذكر هل ينفعنك اليوم تذكير

إلى أخر النص .

---

(١)أيكة وولدود موضعان ، كتاب المعمرين صـ ٧٥ ، ٧٦ ، ديوان عبيد صـ ٦٠ .

(٢) ديوان عمرو بن قميئة ، تحقيق حسن كامل الصيرفى صـ ٢٠٩ ط / ١ القاهرة ١٩٦٥ .

(٣) سبق أن أوردنا النص كاملا فى كلامنا عن القلق النفسى عند المعمرين .

يقول الحريرى : « فقال له معاوية : لقد رأيت عجبا ، فمن الميت ؟ قال : عثير بن لبيد السيد العذرى ، وقيل : عثمان بن لبيد العذرى ، وفى كتاب المعمرين ان الميت حُريث بن جبلة »(1)

وكتاب المعمرين من المصادر التى أوردت لنا كثيرا من أمثال أكثم بن صيفى(2)

---

(1) كتاب المعمرون : صـ ٥٢ ، القاسم بن على الحريرى : درة الغواص فى أوهام الخواص تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم صـ ٧٣ ، ٧٤ ط / ١ القاهرة سنة ١٩٧٥

(2) المعمرون : ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، وينظر رودلف زلهايم : الأمثال العربية القديمة ترجمة د / رمضان عبدالتواب هامش صـ ٤٧ ط / ٢ بيروت ١٩٨٢ .

خاتمـــة البحث

إن هذه السيرة العطرة الزاكية لهذا العالم الجليل ، والذى أسهم بجهوده فى دفع عجلة اللغة فى القرن الثالث الهجرى جديرة بالبحث والدرس نظرا لما فيها من عبر وعظات تلهم ناشئتنا وتدفعهم للعمل الجاد المثمر لما فيه مجد أمتنا ونهضة شعوبنا .

إن هذا الرجل بما بذل من جهد دائب فى تحصيل اللغة وجهوده المثمرة فى الـدرس القرآنى ، وإحاطته بفنون الأدب شعره ونثره ، وعقليته الموسوعية التى استوعبت آثار شيوخه العظام أبى زيد الأنصارى والأصمعى وأبى عبيدة وغيرهم يستحق أن يُكرَّم ولا تكريم أفضل من أن نستوعب الدرس الذى خَلَّفه لنا .

هذا التراث الذى خلفه يحكى لنا قصة شاب كافح فى سبيل العلم التقى بالشيوخ الأجلاء فى مسجد البصرة وفى غيره ، اتفق معهم واختلف ولكن كان يحكم ذلك كله أدب الحوار . حتى إذا كان الصواب فى جانبه نراه لايُحْرج شيخا ولا يُسفِّه رأيا . ويُسَلِّم للعالم ويحترم رأيه مادام فى جانب الحق ولكن كل ذلك فى أدب جم وتواضع عجيب .

بل إن هذا الرجل ليقدم الأسلوب الأمثل فى صلة الطالب بالأستاذ تحكمه معـايير النفع العلمى والأخوة الصادقة ، والملازمة رغبة فى التحصيل ، فالصلة ليست منبتة ، فلا يقف العطاء العلمى عند حدود الدرس ؛ بل يتعقب الأستاذ حيثما كان رغبة فى الاستزادة والتحصيل . ولنا أسوة فى قطرب وسيبويه .

فعـرض علينـا أبو حاتم نموذجا للصحبة العلمية ، وأنه كان يحضر نوادى الأدب التى كانت فى البصرة ـ فى سوق المربد ـ لأنه قال عن اختلافه مع أبى عبيدة أو الأصمعى إلى ذوى الأشراف بالمـربـد من رهط سليمان بن على للاستماع إلى ما يقرأ عليهم من الكتب .

فإلى الذين يبحثون عن الريادة العلمية فى عصرنا الحاضر فليبحثوا فى تراثنا القديم ففيه الكفاية كل الكفاية لمن يريد أن يستزيد .

كما يقدم نموذجا للعلاقة بين الطالب والأستاذ العلاقة القائمة على الحب ، وإشاعة المرح فى الدرس ولكن على اساس من التقدير والخلق القويم . حتى الفكاهة كانت هادفة وتحكمها معايير الروح المرحة والافادة العلمية .

صحيح أنه شاع عنه إعجابه بجمال المبرد ، ولكن الأستاذ زَكّى نفسه أمام محكمة الضمير الانسانى (بأنه عَفُّ الضمير ، متيَّمٌ بالحسان فالجمال المستغرق فى نفسه ، يدفعه إلى السمو والعظمة والرقى .

أضف إلى ذلك أنه أول من عالج مشكلة « المعمرين » وقدم دراسة نفسية أدبية وافية عالجت هذه المشكلة (السيكلوجية) من جوانبها المختلفة وكان رائدا فى هذا المجال ، فألهم المبرد ليتكلم عن المعمرين فى كتابه الفاضل ، وغيره مثل : الشريف الرضى فى أماليه ، والراغب فى محاضراته ، والابشيهى فى المستطرف ، والبلوى وغيرهم . . الخ .

كما فتح الباب أمام درس اللغة المقارن أو الأدب المقارن بما حكاه عن شعر للأعشى تأثر فيه بالاتصال بالحضارة الفارسية . وما حكاه هو عن الاتصال اللغوى بين اللغة العربية واللغة الفارسية .

وسبق أن قدمت نماذج لهذا الاتصال ، فى كلامه عن حركة التعريب نتيجة للاحتكاك المستمر والخلاط المباشر بين العرب وأبناء الأمم المفتوحة .

بل قدم نموذجا أراه خطيرا ولم يتنبه إليه أحد من الدارسين ـ فيما أظن ـ لدور الأعراب الأقحاح فى ترقية اللغة بما ينقلونه إلى أبناء البصرة من تعابير ومادة لغوية ، يسهمون بها فى إثراء اللغة وتنقيتها . هؤلاء الأعراب استمعوا إلى المعرَّب هل كان ذلك نتيجة لخلاطهم بأبناء الحضر ؟ جاء فى المعرب (صـ ٢١٨) عن الزنفيلجة وهى الوعاء قال : « والزنفيلجة « [ويقال] « الزنفيلجة » و « الزنفالجة » أعجمى معرب . قال الأصمعى : سمعتها من الأعراب قال أبو حاتم : وسمعتها : من أم الهيثم وغيرها سهلا فى كلامهم كأنهم قلبوها إلى كلامهم . قال

الأصمعى : وهى بالفارسية « زين فالة » وِعَاءٌ » .

فأبو حاتم - فى نظرى - ممن فتحوا الباب أمام ابن قتيبة لأن يشير إلى المعرَّب فى المعانى الكبير ، وأمام المبرد أيضا ليتكلم عن التعريب واخضاع المعرب للمقاييس اللغوية العربية جاء ذلك فى الكامل فى أخبار الخوارج (حـ ٣ صـ ٢٩٨ ، صـ ٢٩٩)

وأقول أيضا إن أبا حاتم قدم المنهج العلمى السليم بأن العالم الحق لايقطع بل يقول أظن ، أوفيها أظن فهو هنا يقول عن أم الهيثم (كأنهم) قلبوها إلى كلامهم) : فاستخدام هذا الاسلوب يكشف عن دقة علمية ، وفى الوقت نفسه يوضح لنا أن المدرسة البصرية تحتاج من الدارسين إلى تحليلهاوالوقوف على مناهجها العلمية الدقيقة .
وأراه بذلك سبق الكثير من الدراسات المنهجية فى هذا السبيل . .

وأخيرا أقول إن المدرسة البصرية بمناهجها المتعددة وشيوخها الثقات الأعلام ، ومنهجها التربوى السليم ، كل ذلك أرسى دعائم صلبة قامت عليه لتقدم عطاءها العلمى المرتكز على قاعدة من الخلق القويم والفهم السليم والجدال العلمى الخصب الذى يثرى العلم والمحكوم بأدب الحوار الذى نفتقده فى حياتنا المعاصرة .

أضف إلى ذلك علم غزير محاط بفكاهة مستملحة مهذبة مع تبادل وجدانى بين الطالب والاستاذ ، وكل ذلك ينعكس على العملية التعليمية عطاءً وازدهار .

هذه لمحة يسيرة عن شيخ المدرسة البصرية فى القرن الثالث الهجرى ، أبى حاتم السجستانى القارىء اللغوى الأديب المؤرخ والعالم الموسوعى . فاللغة العربية مدينة له بما حفظ لنا من آثار الأقدمين . جزاه الله عنا خير الجزاء .

هذا وبالله التوفيق

المصادر والمراجع

	الكتاب	المؤلف	الطبعة	البلد	السنة
١	أخبار النحويين البصريين	السيرافى تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى	١	القاهرة	١٩٥٥
٢	أثر الاسلام فى تطور النقد الأدبى	د / محمد زغلول سلام	٣	القاهرة	١٩٦٨
٣	أدب الكاتب	لابن قتيبة ت / محمد الدالى	١	بيروت	١٩٨٢
٤	الأزمنة والأمكنة	أبو على المرزوقى	١	حيدر آباد	١٣٣٢هـ
٥	الأضداد	لأبى حاتم السجستانى ت / أوجست هفنر	١	بيروت	١٩١٣
٦	الآفعال	ابو عثمان سعيد بن محمد المعافرى السرقسطى تحقيق د/ حسين محمد محمد شرف .	١	القاهرة	١٩٧٥
٧	الاقتضاب فى شرح أدب الكُتَّاب	ابن السيد البطليوسى	٢	بيروت	١٩٧٩
٨	الأمثال العربية القديمة	رودلف زلهايم ترجمة د / رمضان عبدالتواب	٢	بيروت	١٩٨٢
٩	انباه الرواة على انباه النحاة	القفطى تحقيق ا / محمد أبو الفضل ابراهيم	١	القاهرة	١٩٥٠
١٠	الانساب	للسمعانى	١	لندن	١٩١٢
١١	الايناس بعلم الانساب	الوزير ابن المقرب ابو القاسم الحسين بن على بن الحسن ت / ابراهيم الابيارى	٢	بيروت	١٩٨٠
١٢	ايضاح المكنون على كشف الظنون	إسماعيل باشا البغدادى	١	استامبول	١٩٤٥
١٣	البداية والنهاية	لابن كثير	١	القاهرة	١٩٣٢
١٤	بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة	السيوطى ت / محمد ابو الفضل ابراهيم	١	القاهرة	١٩٦٥

١٥	البلاغة	للمبرد	١	القاهرة	١٩٦٥
		ت / د رمضان عبدالتواب			
١٦	الاتباع والمزاوجة	أبو الحسن احمد بن فارس	١	القاهرة	١٩٤٧
		أ / كمال مصطفى			
١٧	الاتقان فى علوم القرآن	السيوطى	١	القاهرة	١٩٧٤
		ت / محمد ابو الفضل ابراهيم			
١٨	تأويل مختلف الحديث	ابن قتيبة	١	القاهرة	١٣٢٦ هـ
١٩	تأويل مشكل القرآن	ابن قتيبة	٢	القاهرة	١٩٧٣
		ت وشرح / السيد احمد صقر			
٢٠	تاج اللغة وصحاح العربية	اسماعيل بن حماد الجوهرى	٢	بيروت	١٩٧٩
		ت / احمد عبد الغفور عطار			
٢١	تاريخ الأدب العربى	بروكلمان	١	القاهرة	١٩٦١
		د / عبد الحليم النجار وآخرين	١		ومابعدها
٢٢	تاريخ الإسلام	الذهبى	١	القاهرة	١٩٧٤
		ت / فهيم شلتوت وآخر			
٢٣	تاريخ الأمم والملوك	الطبرى	١	القاهرة	١٩٧٦
		ت / محمد ابو الفضل ابراهيم			
٢٤	تثقيف اللسان وتلقيح الجنان	ابن مكى الصقلى	١	القاهرة	١٣٨٦ هـ
		ت / د عبدالعزيز مطر			
٢٥	تقريب التهذيب	لابن حجر العسقلانى	١	القاهرة	١٣٠٨هـ
٢٦	التنبيه على حدوث التصحيف	حمزة بن حسن الاصفهانى	١	العراق	١٩٦٧
		تحقيق / محمد حسن آل ياسين			
٢٧	التنبيه على أوهام القالى	تحقيق / محمد عبد الجواد الاصمعى	١	القاهرة	١٩٧٥
	الأمالى مع				
٢٨	تهذيب الأسماء واللغات	ابو زكريا النووى	١	القاهرة	
٢٩	تهذيب التهذيب	لابن حجر العسقلانى	١	حيدر آباد	١٣٢٦هـ
٣٠	جمع الجواهر فى الملح والنوادر	الحصرى القيروانى	١	القاهرة	١٩٥١
٣١	جمهرة اللغة	لابن دريد			
		ت / محمد السورتى ، وكرنكو	١	حيدر آباد	١٣٤٤

الرقم	الكتاب	المؤلف / المحقق	الطبعة	المكان	السنة
٣٢	كتاب الحلل فى شرح أبيات الجمل	ابن السِّيد البطليوسى تحقيق د / مصطفى إمام	١	القاهرة	١٩٧٩
٣٣	الخصائص	لابن جنى ت / محمد على النجار	٢	بيروت مصورة عن نسخه القاهرة	—
٣٤	خزانة الأدب	البغدادى	١	بولاق	١٢٩٩ هـ
		ت / عبد السلام هارون	٢	القاهرة	١٩٦٨
٣٥	درة الغواص فى أوهام الخواص	للحريرى ت / محمد ابو الفضل ابراهيم	١	القاهرة	١٩٧٥
٣٦	ديوان الأعشى	ت / أدولف جاير	١	لندن	١٩٢٨
		د / محمد محمد حسين	٢	بيروت	١٩٦٨
٣٧	ديوان امرىء القيس	تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم	٢	القاهرة	١٩٦٤
٣٨	ديوان أوس بن حجر	تحقيق د / محمد يوسف نجم	٣	بيروت	١٩٧٩
٣٩	ديوان جرير	تحقيق د / نعمان محمد أمين طه	١	القاهرة	١٩٦٩
٤٠	ديوان حسان بن ثابت	تحقيق عادل سليمان جمال	١	القاهرة	١٩٧٠
٤١	ديوان الحطيئة	تحقيق د / نعمان محمد أمين طه	١	القاهرة	١٩٥٨
٤٢	ديوان رؤبة بن العجاج	تحقيق وليم بن الورد	٢	بيروت	١٩٨٠
٤٣	ديوان زهير	شرح ثعلب (ط / دار الكتب)	١	القاهرة	١٩٦٤
٤٤	ديوان الشماخ بن ضرار	تحقيق / د صلاح الدين الهادى	١	القاهرة	١٩٦٨
٤٥	ديوان طرفة بن العبد	تحقيق / على الجندى	١	القاهرة	١٩٥٨
٤٦	ديوان الطرماح بن حكيم	تحقيق / كرنكو	١	لندن	١٩٢٧
٤٧	ديوان طفيل الغنوى	تحقيق / كرنكو	١	لندن	١٩٢٧
٤٨	ديوان عبيد بن الأبرص	تحقيق / د . حسين نصار	١	القاهرة	١٩٥٧
٤٩	ديوان علقمة الفحل	بشرح الأعلم الشنتمرى تحقيق لطفى الصقال ، ودرية الخطيب	١	حلب	١٩٦٩
٥٠	ديوان عمرو بن قميئة	تحقيق / حسن كامل الصيرفى	١	القاهرة	١٩٦٥
٥١	ديوان الفرزدق	تصحيح وشرح بشير يموت	٢	القاهرة	١٩٣٣
٥٢	ديوان قيس بن الخطيم	ت د / ناصر الدين الاسد	١	القاهرة	١٩٦٢
٥٣	ديوان كعب بن زهير	—	١	القاهرة	١٩٥٠
٥٤	ديوان المتلمس	ت / حسن كامل الصيرفى	١	القاهرة	١٩٧٠
٥٥	ديوان المعانى	ت / أبو هلال العسكرى	١	القاهرة	١٣٥٢ هـ

م	الكتاب	المؤلف / المحقق	ط	المكان	السنة
٥٦	ديوان النابغة	تحقيق / محمد ابو الفضل ابراهيم	١	القاهرة	١٩٧٧
٥٧	ديوان الهذليين		١	القاهرة	١٩٦٥
٥٨	روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات	ميرزا باقر الخوانساري	١	ايران	١٣٤٧هـ
٥٩	زهر الآداب وثمر الألباب	الحصري القيرواني ت / على محمد البجاوى	٢	القاهرة	١٩٧٥
٦٠	سمط اللآلىء	لابى عبيد البكرى ت / عبدالعزيز الميمنى	١	القاهرة	١٩٣٦
٦١	شذرات الذهب في أخبار من ذهب	لابن العماد الحنبلى	٢	بيروت مصورة عن القاهرة	١٣٥٠ هـ
٦٢	شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف	لابن سعيد السكرى ت / عبدالعزيز احمد	١	القاهرة	١٩٦٣
٦٣	شعر عبدالله بن الزبير الأسدى	ت / يحي الجبورى	١	العراق	١٩٧٤
٦٤	شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم	نشوان الحميرى ت / تشترستين	١	لندن	١٩٥١
٦٥	الشوارد أو ماتفرد به بعض أئمة اللغة	الصغانى ت د / مصطفى حجازى	١	القاهرة	١٩٨٣
٦٦	شفاء الغليل فيما في كلام العرب من البخيل	شهاب الدين احمد الخفاجى ت / محمد عبدالمنعم خفاجى	١	القاهرة	١٩٥٢
٦٧	الصاحبى	لابن فارس ت / السيد احمد صقر	١	القاهرة	١٩٧٧
٦٨	الصراع بين العرب والموالى	د / محمد بديع شريف	١	القاهرة	١٩٥٤
٦٩	ضحى الاسلام	احمد أمين	٧	القاهرة	١٩٦٤
٧٠	غاية النهاية فى طبقات القراء	ابن الجزرى	١	القاهرة	١٩٣٢
٧١	طبقات المفسرين	للداودى ت / على عمر	١	القاهرة	١٩٧٢
٧٢	طبقات النحويين واللغويين	لابى بكر الزبيدى ت / محمد ابو الفضل ابراهيم	١	القاهرة	١٩٥٤

٧٣	العقد الفريد	لابن عبد ربه ت / احمد امين وأخرين	٣	القاهرة	١٩٧١
٧٤	غرر الفرائد ودرر القلائد (أمالى المرتضى)	الشريف المرتضى ت / محمد ابو الفضل ابراهيم	١	القاهرة	١٩٥٤
٧٥	فحولة الشعراء	للأصمعى شرح وتحقيق محمد عبدالمنعم خفاجى وطه الزينى	١	القاهرة	١٩٥٣
٧٦	فعلت وأفعلت	أبو حاتم السجستانى ت / د خليل ابراهيم العطية	١	العراق	١٩٧٩
٧٧	الفلاكة والمفلوكون	أحمد بن على الدلجى	١	القاهرة	١٣٢٢ هـ
٧٨	فهرست مارواه ابن خير عن شيوخه	ابن خير الاشبيلى	١	سرقطة	١٨٩٣ م
٧٩	الكامل	المبرد ت / محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاته	١	القاهرة	١٩٥٦
٨٠	الكامل فى التاريخ	ابن الأثير ت / عبد الوهاب النجار	١	القاهرة	١٣٥٧هـ
٨١	كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون	حاجى خليفة	١	استامبول	١٩٤١
٨٢	لحن العامة والتطور اللغوى	ت / د رمضان عبدالتواب	١	القاهرة	١٩٦٧
٨٣	لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة	ت / د عبدالعزيز مطر	١	القاهرة	١٩٦٧
٨٤	لحن العوام	لأبى بكر الزبيدى ت د / رمضان عبد التواب	١	القاهرة	١٩٦٤
٨٥	لسان العرب	ابن منظور	١	القاهرة	١٣٠٧
٨٦	المبرد حياته وآثاره	عبد الخالق عضيمة	١	القاهرة	١٣٩١هـ
٨٧	المثلث	ابن السيد البطليوسى ت / صلاح مهدى	١	العراق	١٩٨٢
٨٨	مجمع الأمثال	الميدانى ت / محمد أبو الفضل ابراهيم	١	القاهرة	١٩٧٩
٨٩	محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء	الراغب الأصفهانى	١	القاهرة	١٣٢٦هـ

الرقم	الكتاب	المؤلف / المحقق	الطبعة	المكان	السنة
٩٠	محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية	محمد الخضرى	١	القاهرة	١٣٣٤هـ
	(الدولة العباسية)				
	القراءات والايضاح عنها	ت / على النجدى ناصف وأخرين			
٩٢	مختارات شعراء العرب	ابن الشجرى	١	القاهرة	١٩٧٥
		ت / على محمد البخارى			
٩٣	المخصص	ابن سيده	١	القاهرة	١٣٢١ هـ
٩٤	المذكر والمؤنث	المبرد			
		ت / رمضان عبدالتواب	١	القاهرة	١٩٧٠
		ت / صلاح الدين الهادى			
٩٥	مراتب النحويين	لابى الطيب اللغوى	١	القاهرة	١٩٥٥
		ت / محمد ابوالفضل ابراهيم			
٩٦	مرآة الجنان وعبرة اليقظان	اليافى	١	حيدر آباد	١٣٣٨ هـ
٩٧	المزهر	السيوطى			
		ت / محمد احمد جاد المولى وآخرين	١	القاهرة	١٩٥٨
٩٨	المستطرف فى كل فن مستظرف	شهاب الدين بن محمد الابشيهى	١	بيروت	١٩٨١
		ت / عبدالله انيس الطباع			
٩٩	المسلسل فى غريب لغة		٢	القاهرة	١٩٨١
	العرب	ت / محمد عبدالجواد ، ابراهيم الدسوقى			
١٠٠	المصون فى الأدب	ابو احمد بن عبدالله العسكرى	٢	القاهرة	١٩٨٢
		ت / عبدالسلام هارون			
١٠١	معجم الأدباء	لياقوت	١	القاهرة	١٩٣٦
	•	ت / احمد الرفاعى			
١٠٢	معجم البلدان	ياقوت الحموى	١	القاهرة	١٣٢٣ هـ
١٠٣	معجم مقاييس اللغة	لابن فارس	٢	القاهرة	١٩٦٩
		ت / عبدالسلام هارون			
١٠٤	المعمرون والوصايا	ابو منصور الجواليقى	٢	القاهرة	١٩٦٩
		ت / احمد محمد شاكر			
١٠٥	مغنى اللبيب عن كتيب	ابن هشام الأنصارى	١	ط . صبيح القاهرة	—
	الاعاريب	ت / محمد محى الدين عبدالحميد			

الكتاب	المؤلف	الجزء	المكان	السنة
١٠٦ المقتضب	المبرد ت / محمد عبد الخالق عُضَيْمة	١	القاهرة	١٣٨٨
١٠٧ مقدمتان فى علوم القرآن	ت / أرثر جعفرى (مقدمة كتاب المبانى ، ومقدمة أبن عطية	٢	القاهرة	١٩٧٢
١٠٨ المكافأة	ابوجعفر الكاتب	١	القاهرة	١٩٤١
١٠٩ المؤتلف والمختلف	الأمدى عبدالستار فراج	١	القاهرة	١٩٦٠
١١٠ الموشح	المرزبانى ت / على محمد اليجاوى	١	القاهرة	١٩٦٥
١١١ النجوم الزاهرة	ابن ثغرى بردى	١	القاهرة	
١١٢ النخلة	ابو حاتم السجستانى ت / برتليمو لاجومينا	١	صقلية	١٨٧٣ م
١١٣ نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة	محمد الطنطاوى	٢	القاهرة	١٩٤٣
١١٤ نهاية الأدب	النويرى	١	القاهرة	١٩٤٣
١١٥ النوادر فى اللغة	ابو زيد الأنصارى تشرة / سعيد الشرنونى	٢	بيروت	١٩٦٧
١١٦ وفيات الأعيان	لابن حلكان	١	القاهرة	١٢٩٩ هـ
١١٧ هدية العارفين فى أسماء المؤلفين	اسماعيل البغدادى	١	استامبوله	١٩٥٥

ب ـ المراجع الأجنبية المترجمة

١	تاريخ الأدب العربى	بروكلمان		
		ترجمة . د / عبدالحليم النجار	١ القاهرة	١٩٦١
		ترجمة . د / رمضان عبدالتواب		ومابعدها
		ترجمة . د / السيد يعقوب بكر		
٢	تاريخ الحضارة الاسلامية	بارتولد	١ القاهرة	١٩٦٦
		ترجمة / حمزة طاهر		
٣	حضارة الاسلام	جوستاف جرونباوم	١ القاهرة	١٩٥٣
		ترجمة / عبد العزيز توفيق جاويد		
٤	منهج البحث فى الآدب واللغة	لانسون	١ بيرت	١٩٤٦
		د / محمد مندور		

جـ ـ المخطوطات

١ ـ كتاب فعلت وأفعلت ـ تحقيق ابراهيم خليل العطية ضمن رسالة ماجستير مقدمة لجامعة عين شمس تحت رقم ١٦٦٨٩ لسنة ١٩٦٩ .

د ـ الدوريـــات

١ ـ دائرة المعارف الاسلامية ط / ٢ القاهرة ١٩٦٩

٢ ـ كتاب الخيل ـ للاصمعى مجلة المورد العراقية المجلد / ١٢
تحقيق هلال ناجى العدد / ٤ لسنة ١٩٨٣

٣ ـ مجلة المورد العراقية المجلد / ٩ العدد ٤ لسنة ١٩٨١

الفهرســـت

الموضوع : أبو جاتم السجستانى : حياته وآثاره

رقم الايـداع ٧٧٣٢ / ١٩٨٥

